الدكتور
محمد رشاد عبد العزيز دهمش

مع مسيرة الفكر الإنسانى

فى العصر القديم

الطبعة الأولى
١٩٨٢

مطبعة الفجر الجديد
منشية ناصر
٣٨ شارع الكبارى - منشية ناصر

دكتور
محمد رشاد عبد العزيز دهمش

مع مسيرة الفكر الإنساني
في العصر القديم

مطبعة الفجر الجديد
بمنشية ناصر
٣٨ شارع الكبارى - منشية ناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)

« صدق الله العظيم » [قرآن كريم]

إن قليلا من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد ، أما التعمق فى الفلسفة فسيرده إلى الدين .

فرانسس بيكون

تقاس حضارة الأمة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها .

ديكارت

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين معلم الإنسانية محمد بن عبد الله الرحمـــة المهداة والنعمة المسداة وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعـــد :

فلقد رأيت من واجبي أن أضع بين يدى القارىء الكريم جوانب من الفكر الإنسانى وصفحات من نتاج العقول منذ أن بدأ عقل الإنسان يحدد معالم الفكر ويتجه نحو الحقيقة ضالة الإنسان فى كل زمان ومكان .

وأن أقدم تصورات المدارس الفكرية المختلفـــة فى الكون والحياة والمعرفة والحقيقة وما إلى ذلك وادعاء كل مدرسة أن الحقيقة من نصيبها وحدها ، مع أننا لو عدنا إلى تاريخ الفلسفة لاستطعنا أن نقول :

إن الحقيقة لم تكن فى يوم من الأيام وقفا على مدرسة دون مدرسة أو على مذهب دون مذهب أو على فكر دون فكر ، بل هى دائماً موزعة بين سائر المذاهب ومختلف المدارس .

إن الحقيقة كما يقول — بسبرز — ليست ملكا لأحد وإنما البشر جميعا ملك للحقيقة .

ومن المعروف أن من طبيعة الفكر البشرى أن يقصر نظره على ناحية واحدة من نواحى الوجود فهو قلما يصيب منه أكثر من جهة ، بينما تفوته منه جهات أخرى قطن إليها غيره ومن هنا كان الاختلاف وتعارض وجهات النظر وهذا شيء طبيعى لاغرابة منه .

إننا نجد مثلا فى هذه الحيـــاة من يعيش مع الفلسفة وفى الوقت نفسه نجد من يعيش للفلسفة بينما نجد فى الوقت ذاته من ينـدد بالفلسفة ويغض الفلاسفة ولكل وجهة نظر ولكل رأى يتعصب له ويدافع عنه ويوجد هذا فى كل العصور والأمصار ورغم اعتقاد الكثير أن الفلسفة لم تعد — فى عصرنا هذا — بضاعة رائجة لظنهم أن العلم قد خلع الفلسفة من عرشها ونزع منها التاج إلى غير رجعة ، فمازلت أعتقد أن العالم الآن فى أشد الحاجة إلى رسالة الفلسفة الحقة حتى تكفكف من غلوائه وتهذب من ماديته وتنتشله من سقطاته ، وتجعل الإنسان يحسن — على حد تعبير أرسبتس — القدرة على العيش فى اطمئنان ومن غير خوف مع كل الناس .

ولو عاد العالم إلى الفلسفة لوجد فيها غـــذاءه الروحى وبلسمه الشافى ولسارت قافلته نحو مرفأ السلام وشاطىء الأمان ولأدرك بادىء ذى بدء أن مبدع هذا الكون أو مبدع الكل على حد تعبير ابن سينا إنمـا هو الله الواحد الأحد ... أنى من أجل هذه الغاية النبيلة ومن أجل عشاق المعرفة وطلاب الحقيقة أقدم هذه الصفحات من الفكر الفلسفى فى العصر القديم .

ولقد حاولت — جهد الطاقة — أن أقدم أفكار الرعيل الأول من مفكرى الإنسانية فى رداء القرن العشرين وبأسلوب معاصر وأن أتبع مبدأ تيسير المـــادة لا تبسيطها ؛ ذلك لأن التيسير يولد الحافز ويحيى الإرادة ويوقظ الدافع وينعش الفكر أما التبسيط فإنه قد يضعف العزائم ويوهن الهمم ويدفع إلى الملل ويهبط بالمادة الدسمة إلى المستوى الأدنى ويؤثر على الفهم كذلك حاولت — جهد الطاقة أيضا — أن أبتعد عن العبارات المعقده

فى أسلوب الفلاسفة وذلك قصد اعطاء ـ فى دقة وأمانة ـ صورة واضحة لأفكارهم وآرائهم وتصوراتهم ، وحتى لا يدير القارىء الكريم ظهره لهذا الكتاب إذا ما قدمت مادته فى ثوب مهدها التاريخى هذا ودون مساس بالمصطلحات الفلسفية المتعارف عليها التى لا يجوز استبدالها أو التحريف فيها أو الزيادة عليها أو الانتقاص منها .

هذا والله أسأل أن يحقق الآمال وأن ينفع عشاق المعرفة بهذا الجهد المقل وأن يوفقنا لخدمة الدين والعلم والوطن والإنسانية جمعاء .

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

هذا وبالله التوفيق ؟

القاهرة فى رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ

الموافق يوليو سنة ١٩٨٢ م

دكتور

محمد رشاد عبد العزيز محمود

نشأة التفكير الفلسفي

ظل الإنسان فى حياته البدائية مشغولا بتحصيل مايحفظ بقاءه من ضرورات الحياة ومقومات الوجود .

وكما يعمل قانون التطور عمله فى أى كائن حى عمل ذلك القانون عمله فى فى الإنسان فخطا به قليلا رويدا رويدا من الوقوف عند حد معين وتصور ضيق فى شئون الحياة إلى نزوع آخر يرتقى به ويرتفع بانسانيته ـ ولو قليلا ـ عن حالته البدائية الفطرية .

وكان من الطبيعى أن لايتيسر للانسان ذلك إلا عندما يحس ويشعر ماشغل نفسه به من مقومات مادية لحياته قد استقر له الأمر فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها فتيسر له من الفراغ مايحمله على قرض الشعر [1] وأخذ ينظر إلى هذا الكون حيث رأى بعينه النجوم المتألقة والشمس المشرقة والرياح والأمطار والجبال وفيضان الأنهار وأحس بما حوله من ظواهر متعددة تبدو فى الظاهر متناقضة ، فأخذ يحلم بهذا الكون الذى يحيط به والذى يبعث فى النفس اللذة والخوف فى آن واحد ، ولكن ماذا عساه أن يقول عن ظواهر الكون ، لكى يرضى خياله الساذج سوى أساطير ينسجها له الخيال فيرويها لتكون له عقيدة وأدبا وعلما وهكذا كانت « الميثولوجيا » أول الأمر ثم يمضى الزمن فإذا الخيال تضيق دائرته وإذا العقل يتسع فكره وإذا به ينتقل من حياة تملؤها الضرورات القاسية إلى حياة يمازجها شيء من ترف الفكر وإبداع الفن /

---

(1) ص ١٧ ــ ١٨ الفلسفة اليونانية د محمد عبد الرحمن بيصار .

وإذ ذاك تغير موقفه، فلم يعد عبدا يذله قانون الحياة بل يساهم فى تعديل قانون الحياة[1]، وأخذ يفكر فى خلق السموات والأرض ومافيها من مشاهد وتغيرات وحوادث وأحداث فأثار هذا كله فى نفسه الدهشة والاستغراب فأنعم النظر فيها مريدا بذلك أن يصل إلى معرفة أسبابها وعللها، فأخذ يفرض لذلك الفروض ويقيم الأدلة والبراهين رغبة فى الوصول إلى حقائقها وأسباب وجودها[2]. ودفعته هذه الدهشة إلى أن يتساءل ماهذا الكون، وكيف نشأ ؟ ومن أين أتى ؟ ومامصيره ؟ ومهما كان الإنسان بسيطا أو ساذجا، فإنه لابد من أن يتعجب، ويندهش ويتساءل. وليس بيننا من لم تؤرقه يوما بعض المشكلات حول مصيره، أو حريته، أو قصور معرفته أو شقاء حياته ؟ أو قلق ضميره أو فناء وجوده، وقديما قال أرسطو — فيلسوف اليونان الأكبر — أن الدهشة هى الأم التى أنجبت لنا الفلسفة[3].

فأعيننا تشهد الشمس وتتملى بمنظر النجوم التى تلمع فى جوف السماء فيثور فى أنفسنا شعور التعجب من ضخامتها وعظمتها فنندفع إلى دراسة العالم المحيط بنا بما أتيح لنا من وسائل طلبا للمعرفة وتخلصا من شعور الجهل الذى يجده الانسان فى قرارة نفسه : هذه المعرفة التى ينشرها الانسان والذى يرمى من ورائها إلى معرفة حقائق الأشيـــاء وعللها ويحاول التوصل إلى مايرضى غريزة حب الاستطلاع، تلك الغريزة التى تدفعه دائما إلى تعرف

---

(١) ص ٢ — ٣ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين — زكى نجيب — طبعه خامسة.

(٢) ص ٧ تاريخ الفلسفة اليونانية د. عوض الله حجازى.

(٣) ص ٣ مبادىء الفلسفة. رابوبرت ترجمة أحمد أمين.

الأشياء والبحث عنها وعلاقتها بعضها ببعض ، أقول أن هذه المحاولة هى ما نسميها « بالفلسفة » .

أن الفلسفة بمعنى من المعانى هى تلك الروح التساؤلية التى تقترن دائما بأداة الاستفهام الكبرى لم ؟ أو لماذا ؟ — والفيلسوف هو ذلك الرجل المتسائل الذى لا يملك سوى أن يقف ذاهلا أمام أسرار الوجود ، وكأنما هو طفل صغير يشهد العالم للمرة الأولى فلا يكاد يكف عن أثاره السؤال ولا يكاد يفتح فمه إلا لكى ينطق بكلمه لماذا ؟ ولقد كان الدافع للانسان على حل أسرار هذا العالم أولا ما يرجوه من المنفعة من وراء ذلك ، ولهذا قيل أن المصريين هم واضعوا أساس علم الهندسة لما ألجأتهم الحاجة إلى تحديد ما يمتلكه الأفراد أثر فيضان النيل السنوى ولكن الانسان اتجه بعد ذلك بطلب المعرفة للمعرفة ذاتها لا قصدا للفائدة العملية ، فالفلسفة شوق وجد وراء معرفة الأسباب الخفية للأشياء للتوفيق بين أرائنا وأعمالنا وهذا هو قصدنا فى الحياة فليس ثمت غرض إلا الفرار من الجهل والوقوف على الحق وكشف النقاب عن باطل تقنع بحجاب سخيف يوهم أنه الحق .

يقول أحد الفلاسفة المحدثين : —

ان الشخص الذى يتصف بالروح الفلسفية إنما هو ذلك الانسان الذى يملك القدرة على التعجب من الأحداث المألوفة وأمور الحياة العادية ، فيتخذ موضوع دراسته من أكثر الأشياء عمومية وابتذالا[1] .

---

(١) مبادىء الفلسفة والأخلاق : د . زكريا إبراهيم .

تطور التفكير الفلسفي

يحلو لكثير من الباحثين الغربيين أن يرجعوا نشأة الفلسفة إلى طاليس الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد وفى رأيهم أن الفلسفة لم تكن معروفة قبل ذلك التاريخ ويكون من الغريب والأمر كذلك — أن تكون الإنسانية قد ظلت كل هذا الأمد الطويل بدون فلسفة إلى أن قام فى أسيا الصغرى على حين فجأة مفكرون يونانيون تمخضت أذهانهم عن بعض الأفكار الفلسفية ؟

حقا أن التفكير الفلسفى الصحيح — كما لاحظ هيجل — لم يظهر إلا بعد أن فرغت الإنسانية من مطالب الحياة المادية ومستلزمات الصراع فى الكون فمن الطبيعى أن لايتيسر للانسان ذلك إلا عندما يحس ويشعر بأن ماشغل نفسه به من مقومات مادية لحياته قد استقر له الأمر فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها[1] .

ولكن من المؤكد أن الأسطورة قد مهدت للفلسفة ، فكان لكل شعب من الشعوب خرافاته الحيوية التى كانت تشبع حاجته إلى الفهم وميله إلى المعرفة . هـــذا إلى أن — كثيرا من فلاسفة الغرب يعترفون بأن فلسفتهم تأثرت بالتقاليد الشرقية سواء كان ذلك فى نشأتها أو خلال مراحل تطورها[2] وبناء على ذلك تقرر أنه ليس لتاريخ الفلسفة نقطة انطلاق معروفة لأن التفكير الفلسفى لم يكن فى يوم من الأيام وقفا على جماعة دون جماعة وأنه حق إنسانى لاعلاقة له بمسائل الجنس أو الدين أو اللون .

---

(١) الدكتور بيصار ص ١٨ الفلسفة اليونانية .

(٢) ص٢٦ د . زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية مكتبة مصر .

وحسبنا أن نرجع إلى تاريخ الشعوب لكى نتحقق من أن الفلسفة ماثلة بالضرورة فى كل زمان ومكان ، سواء أكان ذلك فى الأساطير الشعبية أم فى الحكم والأمثال أم فى التصورات السياسية التى يأخذ بها المجتمع . فالتفكير الفلسفى قد نشأ بمجرد ما استطاع الانسان أن يمارس وظيفته بوصفه كائناً ناطقاً يهمه أن يتعقل وجوده ويحدد علاقته بالعالم والآخرين .

ويبدو أن كلمة الفلسفة عند اليونان الأوائل كانت تعنى كل معرفة محضه ولم تكن تشير إلى مفهوم خاص بل كانت تشير إلى حب الاستطلاع عامة وبالتالى فإنها كانت تعنى كل جهد يقوم به العقل فى سبيل تزويد صاحبه بالمعارف الجديدة — وهكذا كانت الفلسفة مرادفه للعلم .

وإذا كان الفلاسفة الطبيعيون لم يفهموا من الفلسفة إلا أنها بحث عن العناصر ولم تكن دراستها تتجاوز مسائل « نشأة الكون » فان السوفسطائين جعلوا الفلسفة ضربا من التلاعب اللفظى الذى يعين صاحبه على تأييد القول الواحد ونقيضه على السواء حتى جاء سقراط فوجه الفلسفة وجهه جديدة تدرس الأخلاق والسياسة بدلا من الاقتصار على البحث فى الفلك والطبيعة فإذ وصلنا إلى أفلاطون وجدناه يجعل من الإنسان والطبيعة والمبدأ الأول موضوع الفلسفة أما أرسطوا فإن الملسفة عنده ذات إطلاقين عام وخاص فالفلسفة بالمعنى العام تنقسم إلى قسمين :

(ا) فلسفة نظرية وتشمل الطبيعيات والرياضيات والإلهيات .

(ب) فلسفة عملية وتشمل الأخلاق ـ السياسة ـ تدبير المنزل ـ الفن بجمع أنواعه ، ويجعل أرسطو المنطق مقدمة ضرورية لجميع هذه الفروع .

وأما الفلسفة بالمعنى الخاص فهى الإلهيات فقط فإذا وصلنا إلى الرواقيين والأبيقوريين وجدنا أن موضوع الفلسفة محصوراً فى الأخلاق عندهم فإذا

ما انتقلنا إلى فلاسفة العصور الوسطى (من مسيحيين ومسلمين على السواء) ألفينا أنهم قد صرفوا معظم جهودهم إلى التوفيق بين الفلسفة والعقيدة أو بين العقل والنقل ، حتى لقد زعم بعض مؤرخى الفلسفة أن — الصبغة العامة التى اتسم بها التفكير الوسيط فى الشرق والغرب معا لم تكن سوى صبغة توفيقية أو تأليفية أو تلفيقية [١] ولاشك أن فى هذا كثيرا من المغالاة لا تقبله ولا تسلم به فان فلاسفة القرون الوسطى قد وجهوا الفكر الإنسانى نحو كثير من المشكلات الميتافيزيقية التى لم يخض فيها فلاسفة اليونان أو التى لم يتطرق إليها قدماء المفكرين وجاء فلاسفة القرن الثامن عشر فحاولوا فصل الفلسفة عن سائر العلوم لتكون علما مستقلا قائما لذاته والواقع أن العصور الحديثة قد شهدت استقلال العلوم عن الفلسفة وأصبح كل فرع من فروع العلم له موضوعه الخاص ، أما الفلسفة فقد اكتفت بموضوع واحد هو العلاقة بين ماهو مادى وماهو معنوى .

وهكذا تطور موضوع الفلسفة حسب تطور الحياة وما صاحب هذا التطور من آراء ومذاهب فأصبح لكل مذهب فلسفته الخاصة فى الكون وفى الحياة .

---

(١) ص ٣٥ زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية .

أصل كلمة فلسفة

من المعروف أن كلمة فلسفة ليست عربية وإنما هى معربة عن اليونانية فقد اتفق مؤرخو الفلسفة على أنها مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلوسوفى) التى تؤدى معنى محبة الحكمة لأن (فيلو) معناها محبة و (سوفى) معناها الحكمة وعلى ذلك فالفيلسلوف المشتق من (سوفوس) هو المحب للحكمة .

يقول ابن خلدون فى مقدمته عن الفيلسلوف .

وهو باللسان اليونانى محب الحكمة وهو مايراه أيضا صاحب كتاب مبادىء الفلسفه[1] حيث يقول :

فمنى فيلسوف محب الحكمة وقد كانت كلمة (سوفوس) الحكيم فى الأصل تطلق على كل من كمل فى شيء عقليا كان أو ماديا فأطلقوها على الموسيقى والطاهى والبحار والنجار ثم قصرت بعد على من منح عقلا راقيا ، فلما جاء سقراط سمى نفسه فيلسوفا أى محبا للحكمة تواضعا وتمييزا له عن السوفسطائيين . المتجرين بالحكمة .

ويشير الفيلسوف المسلم الفارابى إلى هذا الاشتقاق فيقول :

اسم الفلسفة يونانى وهو دخيل فى العربية وهو على مذهب لسانهم (فيلوسوفا) ومعناه إيثار الحكمة وهو فى لسانهم من فيلو — ومن — سوفيا — (وفيلو) الايثار ، وسوفيا الحكمة .

والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو على مذهب لسانهم فيلوسوفوس ومعناه المؤثر للحكمة ، والمؤثر للحكمة عندهم هو الذى يجعل الوكد من حياته

---

(١) رابوبرت ص٥ ترجمة أحمد أمين .

وغرضه من عمره الحكمة [١] .

ولكن ماهى هذه الحكمة ؟

يقول ابن سينا فى بيانها :

الحكمة استكمال النفس الانسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية فالحكمة المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية .

والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التى لنا أن نعلمها ونعمل بها تسمى حكمه عملية[٢] .

ويبين فيثاغورس أن الحكمة شيء يعلو عن منال الإنسان وأنها خاصة بالله وحده حيث يقول :

الحكمة لله وحده وإنما للانسان أن يجد ليعرف وفى استطاعته أن يكون محبا للحكمة توافا للمعرفة باحثا عن الحقيقة[٣] .

وهذا مايراه سقراط أيضا حيث يقول لا أسميهم — يقصد المشرعين والخطباء — حكماء لأن هذا الأسم عظيم لايتصف به إلا الله وحده وإنما أسميهم محبي الحكمة[٤] ، ويقول الفارابى لاحكيم إلا الأول لأنه كامل

---

(١) د الأهوانى ص ٧ معانى الفلسفة و جـ ٢ ص ١٣٤ ابن أبى أصيبعه عيون الأنبياء .

(٢) من كتاب التفكير الفلسفى فى الإسلام د . عبد الحليم محمود ص ٨ .

(٣) مبادىء الفلسفة ص ٦

(٤) ص ١٧ التفكير الفلسفى الإسلامى د سليمان دينا .

المعرفة بذاته ، وإذا كان الفلاسفة قد قصروا الحكمه على الله تعالى فحسب الإنسان شرفا أن يهوى الحكمة ويجد فى طلبها .

ولاشك أن الأصل الاشتقاقى لكلمة الفلسفة يشهد على تواضع الفلاسفة ؛ فلم يزعموا أنهم حكماء قد وسع علمهم كل شىء بل هم قد اعترفوا منذ البداية بأنهم طالبوا معرفة وأهل اجتهاد أو على الأصح مجرد أصدقاء للحكمة أو محبين للمعرفة لقد ارتبط مفهوم الفلسفة منذ البداية بمعانى الحكمة والتوجيه والكمال الخلقى حتى لقد كتب أحد فلاسفه الإسلام يقول .

(إن الفلسفة تنقسم إلى قسمين : الجزء النظرى والجزء العملى : فإذا كمل الإنسان بالجزء النظرى والجزء العملى فقد سعد سعاده تامه والكمال الأول النظرى منزلته الصورة ، والكمال الثانى فى العملى منزلة المادة وليس يتم أحدهما إلا بالآخر ، لأن العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضائعا والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا)[١] .

---

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه طبع صبيح القاهرة ٩٥٩ ص ٤٠ — ٤١ وانظر ص ٦٣ د . زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية .

تعريف الفلسفة

لانستطيع أن نضع تعريفا دقيقا جامعا مانعا كما يقولون لكلمة فلسفة ذلك لأنها لم تستقر على مدلول واحد طوال العصور . إنما اختلف معناها اختلافا بعيدا ، كما اختلفت مباحثها اختلافا أبعد ، فقد كانت فى بدء حياتها أما رءوما تضم إليها أنواع المعرفة كلها ، فقد كانت علوم الطبيعة والفلك والنفس فصولا من الفلسفة ، ولما اكتمل نموها أصبحت علوما مستقلة كما نراها اليوم وإذن فتعريف الفلسفة اليونانية لايصـــدق على الفلسفة الحديثة بحال من الأحوال .

فإذا عرف البعض الفلسفة مثلا بأنها تعرف الموجود المطلق أنكر أصحاب المذهب المادى هذا التعريف لأن هذا الموجود المطلق المجرد عن المادة ليس له حقيقة فى نظرهم[1] .

أنه ليس فى الاستطاعة تحديد معنى كلمة الفلسفة تحديدا عاما شاملا لجميع مباحثها فى القديم والحديث ، بل إن ذلك من الصعوبة بمكان ، وذلك لأن التعريفات تؤخذ وتشتق — غالبا — من الموضوعات التى يتناولها العلم (أى علم كان بالبحث والدراسة) — والفلسفة بالذات من العلوم التى لم تقف عند موضوع واحد بعينه ، تبحثه طوال هذه العصور التى مرت بها من منتصف القرن السابع قبل الميلاد إلى هذا العصر الذى نعيش فيه .

والسبب الذى جعـــل موضوع البحث الفلسفى يختلف هو اختلاف العصور التى مرت بها الفلسفة فكل عصر منها له طابعه الخاص وميزته التى يتميز بها عن غيره » .

---

(١) ص ٦ ، ٧ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين .

فهي عند فلاسفة اليونان الأوائل .

البحث النظرى فى العالم وتحليل ظواهر الكون .

وهى عند سقراط :

البحث عن الحقائق بحثا نظريا وخاصة عن المبادىء الخلقية من خير وعدل وفضيلة .

وعند أفلاطون :

البحث عن حقائق الأشياء وعن الجمال والانسجام الذى يوجد فى الأشياء الذى ليس إلا الخير أو هى العلم بالحقائق المطلقة المستترة وراء ظواهر الأشياء[١] .

وعند أرسطو :

العلم بالمبادىء الأولى التى تفسر بها طبيعة الأشياء حين يتدرج العقل عند مواجهته للأشياء من عله إلى علة حتى يصل إلى العلة الأولى التى هي علة العلل أو حقيقة الحقائق[٢] وفى رأى آخر الفلسفة هى :

محبة الحكمة وهذا التعريف لايشير فقط إلى الأصل الاشتقاقى لكلمة فلسفة فى اللغة اليونانية ، بل هو يلمح كذلك إلى تصور لتاريخ الفلسفة أصبح واضحا منذ عهد أفلاطون ، وهو أن الفلاسفة الطبيعيين طاليس — انكسماندريس — هيرافليط وغيرهم — وهم فى غمرة الثقة المطلقة

---

(١) تاريخ الفلسفة العربية جميل حليبا — بيروت ص ٢٠

(٢) ص ١٤ الفلسفة اليونانية : الدكتور محمد بيصار دار الكتاب اللبنانى بيروت و ص١٢ تاريخ الفلسفية اليونانية دكتور عوض الله حجازى طبعة ثانية .

بأنفسهم سموا أنفسهم بالحكماء فلما جاء فيثاغورس كان أول من أدرك أن المعرفة الحقيقية بكل العالم أنها هى من نصيب الاله وحده ولهذا فإن الإله وحده هو الحكيم أما الإنسان فإن عليه أن يكتفى بمحبة الحكمة[١] .

أما الفلسفة عند الكندى فإنه يقول فيها :

والفلسفة حدها القدماء بعده حدود : أما من اشتقاق اسمها وهو حب الحكمة .

وحدوها أيضا من جهة فعلها فقالوا :

أن الفلسفة هى التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة وحدوها أيضا من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت ، والموت عندهم موتان . طبيعى وهو ترك النفس استعمال البدن والثانى أماته الشهوات فهذا هو الموت الذى قصدوا إليه لأن أماته الشهوات هو السبيل إلى الفضيلة .

وحددها أيضا فقالوا : الفلسفة معرفة الإنسان نفسه وهذا قول شريف النهاية بعيدالغور فإنه إذا عرف الانسان ذاته عرف الجسم بأعراضه والعرض الأول والجوهر الذى هو لاجسم وإذا علم ذلك جميعا فقد علم الكل ولهذه العلة سمى الحكماء الإنسان العالم الأصغر أما ما يحد به عين الفلسفة فهو أن الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلية أنياتها وماهياتها وعللها بقدر طاقة الإنسان[٢] .

---

(١) ص ٢١ — ٢٢ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية أولف جيجن ترجمة د عزت القرنى .

(٢) أنظر ص ٢٦ — ٢٧ التفكير الفلسفى . د . سليمان دينا .

أما ابن سينا فيقول :

الحكمة — الفلسفة — صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه وما عليه الواجب . . . لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية[١] .

أما إخوان الصفا فإن الفلسفة — عندهم — أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم[٢] والعلوم الفلسفية أربعة أنواع : أولها الرياضيات ، والثانى المنطقيات والثالث العلوم الطبيعيات والرابع العلوم الإلهيات والفلسفة عند فرنسيس بيكون هى :

المعرفة الإنسانية المكتسبة بالعقل)

أما ديكارت فالفلسفة عنده هى : —

البحث عن الجواهر الأساسية الثابتة والمبادىء الأولى للكائنات . ويقول الشيرازى فى كتاب (الأسطار الأربعة) أعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ماهى عليـــه والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لاأخذا بالظن والتقليد بقدر الوسع الإنسانى وإن شئت قلت نظم العالم نظما عقليا على حسب الطاقة البشرية ليحصل

---

(١) تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص ١٠٥

(٢) ص ٥ مصطفى عبد الرزاق تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية و ج ١ ص ٢٣ من رسائل أخوان الصفا طبع المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٨ .

التشبه بالإله[١].

ويقول صاحب كتاب معانى الفلسفة[٢] عن الفلسفة : ـ

فهى أولا نظرة شاملة إلى الحياة فى مجموعها .

وهى من جهة أخرى حل المشكلات التى تتوسط بين العلم والدين .

وهى من جهة ثالثة الآراء التى تنتهى إلى العمل والسلوك — مادامت سنة الحياة الحركة والنمو والإبداع .

وهكذا ترون اختلاف الفلاسفة والمفكرين فى تحديد معنى دقيق للفلسفة وذلك لأنه لما كانت فلسفة كل إنسان وثيقة الصلة بتجاربه الروحية وخبراته النفسية فقد كان من الطبيعى أن — تختلف نظرات الفلاسفة حول معنى الفلسفة وموضوعها وغايتها على الوجه التالى :

أولا — قد تقصد الفلسفة بمعنى عام كل العموم ، فيكون المقصود بها أى تعجب يثيره العقل البشري ، أو أية مشكلة يطرحها الفكر الإنسانى . فنحن نتساءل مثلا من أين جيئنا ، ولماذا نحن هنا ؟ وإلى أين نمضى ؟ وماهى الحقيقة ؟ وماهو الخطأ ؟ وماهو اليقين ؟ وهل هنـــاك حياة بعد الموت ؟ وما هى مكانة الإنسان بالنسبة إلى غيره من الموجودات ؟ وهل للكون غاية ؟ إلى آخر هذه الأسئلة الكثيرة التى اعتدنا أن نثيرها .

ثانيا — قد تعنى الفلسفة نظاما خاصا أو نسقا معينا من الاعتقاد فيكون المراد بها الإيمان بحقيقة ماقام البرهان على صحتها فى نظرنا وسواء آمنا

---

(١) جـ ١ ص ٤

(٢) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى .

بوجود الله ، أم بحرية الإنسان ، أم بقيام نظام فى الطبيعة ، أم بقدرة العقل على المعرفة ، أم بخلود النفس أم عقيدة فلسفية أخرى . فأننا فى كل هذه الحالات نقرر صدق قضايا نتبناها وتقتنع بها ونعيش عليها ، وحينما نكون من مجموع تلك الحقائق الفلسفية التى تدين بها نسقا عقليا متكاملا . فهنالك تكون قد استطعنا أن نصوغ لأنفسنا « مذهبا » .

وليس تاريخ الفلسفة فى صميمه سوى تاريخ بناء المذاهب وصراعها وهدمها وإعاده بنائها .

ثالثا — قد يقصد بالفلسفة رؤية الأشكال ككل ، فليس المقصود بالفلسفة دراسة الظواهر الجزئية أو الوقائع الخاصة ، بل المقصود بها النظر إلى العالم ككل أو الحكم على الوجود فى جملته فيكون الهدف الرئيسى للفلسفة أن توحد بين الموجودات فى إطار عقلى واحد يفسر شتى مظاهر الحقيقة .

رابعا — قد تفهم الفلسفة بمعنى عملى أخلاقى ، فيكون معناها « حكمة الحياة » ويكون الفيلسوف هو الرجل الذى يوجه حياته فى ضوء مايقضى به العقل وهنا تظهر الصلة الوثيقة بين النظر والعمل .

فإن الفلسفة الحقيقية لاتقنع بالمعرفة ، بل هى تريد أيضا أن تنظم حياتنا ، ومعنى هذا أن الفلسفة لاتعلمنا كيف نفكر فحسب ، بل هى تعلمنا أيضا كيف نحيا ، فهى ليست مجرد معرفة نظرية بل هى « فن الحياة » أيضا والذين يفهمون الفلسفة بهذا المعنى حريصون على احترام « التراث الفلسفى » القديم : فقد كانت الفلسفة منذ البداية علما وعملا ، أو حكمة نظرية وعملية معا .

والواقع أن المعرفة فى نظر هؤلاء شرط أساس الحكمة فنحن لانتفلسف إلا حينما نبحث عن معنى الحيـــاة والعالم وحين نحدد لأنفسنا موضعا فى صميم الكون ، حتى نعرف على أى وجه ينبغى لنـا أن نحيـا — وأذن فان المعرفة العقلية هى سبيلنـا إلى السعادة مادامت الحكمة هى نور العقل الذى تسير على هدية فى ظلمات الحياة الدنيا .

أثر الفلسفة فى حياتنا

هل للفلسفة أثر فى حياتنا ؟ أم أنه لامنفعة ترجى منها وأن دراستها تضر بالعقيدة الدينية وهل هى كما يعتقد البعض أنها مضيعة للوقت وأنها لاتحل أى مشكلة وأنها لاتعالج إلامشكلاتها الخاصة بل إنها عجزت عن هذه المشكلات ؟ وحتى نقف على إجابة هذا السؤال لابد أن نعود إلى أقوال الفلاسفة أنفسهم ونقف منهم على الجواب الذى يزيل الشكوك عند هؤلاء الذين لا يرون فى الفلسفة كبير فائدة أو عظيم منفعة أو كبير جدوى .

ومما لاشك فيه أن المغانم الكثيرة التى جنتها البشرية من وراء الفلسفة هى التى دفعتها إلى التقدم فى كل مجال من مجالات المعرفة وأن الحضارة التى نراها ونعيشها ماهى إلا ثمرة من ثمار الفلسفة يقول ديكارت تقاس حضارة الأمم وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها .

ويقول «شيشيرون» :

«أن الفلسفة أم المعارف ومبدعتها» .

ذلكم أن الفلسفة ترتبط كل الارتباط بمختلف نواحى المعرفة الإنسانية ولذلك كان لها أثرها الفعال ومجراها العميق فى حياة المجتمعات بمستوياتها المختلفة وعلى أشكالها الحضارية المتغيرة .

وأنتم تعلمون أن غاية الفلسفة هى معرفة الحكمة وتحصيل الحق والخير والجمال أو على حد تعبير الدكتور بيصار يهدف التفكير الفلسفى إلى التماس الحق (فى النظر) وتوفى الخير (فى الفكر والعمل) وتذوق الجمال لأضفائه على كل مايصدر عنه من تصرفات ، وفى كل مايدور بنفسه

من مشاعر ووجدانات[١] ولقد سئل كثير من الفلاسفة عن المغنم الذى جنوه من الفلسفة وكانت إجاباتهم تعبيرا صادقا وإحساسا معبرا عما جنوه من مناغم وغنموه من سعادة.

يقول « أرسبتس » وهو من اتباع سقراط موضحا المغنم من الفلسفة أنه (القـــدرة على العيش فى اطمئنان ومن غير خوف مع كل الناس ويقول (أفلاطون).

(الاستناد إلى شاطىء الأمان، ورؤية البشر الآخرين وهم يتعذبون على البحر الهائج) ويقول « أرسطو » أن تفعل من غير إلزام مايفعله الآخرون من البشر عن خوف من القانون والعقاب » ويقول (أقراطيس) أستاذ زيتون مؤسس المدرسة الرواقية « الرضا بوجبه من العشب وعدم الإهتمام بالبشر[٢] ، ولاشك أن هذه الأقوال كلها تؤكد قبل كل شىء سيادة الفيلسوف على نفسه وقهر هواه فهو يعرف — على عكس العامة — ماهى القيم الحقيقية وهو ـ لذلك ـ يسلك السلوك القويم دون أن يكون مجبرا على ذلك كما لايهتم بما يلقاه من ألم أو نكد.

أن دراسة الفلسفة ومعرفة تاريخها ونظرياتها يوضح لنا مبلغ تأثير هذه النظريات فى حياة الأمم والأفراد ويكشف لنا مبلغ تأثير هذه النظريات فى حياة الأمم والأفراد ويكشف لنا الحجب عن كثير من أسرار الكون وما فيه من إبداع فى الصنعة وتناسق فى التأليف وهذا ـ بلا شك ـ من المتع العقلية ومن الفوائد العلمية التى تهذب نفوسنا وتلهب فينا العواطف الطيبة ومحبة الخير للناس جميعا، من حيث أن معرفة الخير والشر تدفع ـ غالبا ـ إلى فعل الخير النافع والابتعاد عن الشر الضار.

---

(١) ص ٢١ الفلسفة اليونانية د. محمد بيصار.

(٢) ص ٢٣ ـ ٢٤ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية.

أن دراسة الفسفة وتاريخها يربى الإنسان ملكة النقد الصحيح وتقدير قيم الأشياء تقديرا علميا صحيحا .

إذ باطلاع الباحث على المسائل الفلسفية وآراء الفلاسفة والمفكرين فيها وتعرض بعضهم لبعض بالنقد والتجريح أو بالتأييد والترجيح تنضج عقلية الفرد ويرجح تفكيره ويتسع إدراكه وتتكون عنـــده هذه الملكة(١) .

وهذا التكوين القوى لشخصية الفرد وتأهيل ذاته بهذه المقومات الإنسانية الكاملة يهيء للانسان أن يكون أقرب إلى الحقيقة فى أى بحث يتناوله أو أى رأى يسديه ، أو حكم يحكم به فإن كان الإنسان مؤرخا ـ مثلا ـ أمكنه أن ينتفع بالفلسفة فى معرفة التيارات التى يتأثر بها المجتمع وتدفعه إلى الثورات والحركات تقدميه كانت أو رجعية مما تسبب رقيه أو نهوضه أو تخلفه وانحطاطه ،

وإن كان سياسيا أتاحت له فرصة الوقوف على طبائع النظم السياسية المختلفة وما صاحبها من أشكال الحكومات ومدى صلاحيتها أو عدم صلاحيتها لمجتمع دون آخر .

وإن كان الإنسان أديبا كذلك استعان بالفلسفة للتعرف على نفسية مستمعيه عندما يحاضرهم أو يخطب فيهم ، وكذلك فى ترتيب وسائل الإقناع لمن يخاطب وخلق المؤثرات والدوافع التى يملك بها ناصية الجماهير وزمام توجيههم والتأثير فيهم(٢) .

---

(١) ص ٣٤ تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى

(٢) ٢٣ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

وأخيرا فإن دراسة الفلسفه تجعل من الإنسان رجلا خيرا لنفسه ولمجتمعه بل وللإنسانية جمعاء وذلك عندما يتغلب على شهواته ولا يهتم بنوازل الحياة حين يعترض طريقه ولعل هـذا ماعناه « رينيه ديكارت » الفيلسوف الفرنسي المعروف عندما قال فى كتابه « مقال عن المنهج » .

على الإنسان أن يجتهد فى مغالبة نفسه وحد رغباته وشهواته ، لا فى مغالبة الحظ أو مقاومة القدر لأن أفكارنا ملك لنا ، نستطيع أن نتحكم فيها كما تشاء فبهذا نستطيع أن لاتأسف على حرماننا من الأشياء التى لانقدر على نوالها ، وعلى هذا النحو نستطيع أن ننعم بالفن و الفقر والحرية وكل أنواع السعادة » .

ولهذا فإننا نجد الصلة وثيقة بين الفلسفة وبين غيرها من أنواع المعارف .

بين الأدب والفلسفة

لاشك أن هناك علاقة وثيقة بين الأدب والفلسفة فإذا قيل مثلا إن الأدب تذوق فالفلسفة بذار هذا التذوق ، وإن كان الأدب عملية خلق وعطاء فإن الفلسفة مائية الخلق وسماد العطاء وإذا رأى بعض الناس أن الأدب جسد جميل كامل فإن الفلسفة هى التى تشكل خلايا هذا الجسد وهيكله فإن الفكر قديم قدم الإنسان الأول الذى أفرزه الكهف البدائى ، فنى وقفه ، أمام المجهول ، وعندها ارتسمت علامات التساؤل الأولى على وجهه ، عندها وفى تلك الهنيهة ولدت الفلسفة . . . ولو ولادة بالقوة ذلكم أن الفلسفة هى السؤال تلو السؤال .

وصلة الفكر بالتعبير كعلاقة الأدب بالفلسفة فالخلق عملية تستلزم التفكير الذى يليه التعبير من هنا نرى أن الفكر يعنى الفلسفة والتعبير يرتبط بالأدب وكلما كان التفكير عميقا وناضجا لما كان الأدب أصيلا وشاملا ومع أن الأدب يرتبط بالخيال والفلسفة ترتبط بالواقع فإن هذا لايعنى أن ثمة تباينا بينهما فى الجذر فالخيال قد يرتدى لبوس الواقع ، كما قد يتسلل الواقع فى غرابته إلى ألياف الخيال ، تبقى العلاقة بينهما كعلاقة الأصل بالجذور ، الأدب يمد الفكر بوسائل الإبداع ، والفلسفة تغذى الأدب بملاغم الحضارة ، لذلك فإن أصالة الحضارة تورث أدبا راقيا بعد أن يرسخ الفلسفة فى تربة الإنجاز :

بقى سؤال أخير ـ ماعلاقة سؤال الفكر بتعبير الأدب ؟

ولعل الجواب كامن فى الإنسان نفسه ، فالأدب لايحاول الإجابة عن سؤال الفلسفة ، بل يشارك فى الخلق والإبداع ، بينما الفلسفة تسأل لتثبت إنسانيتها وتمارس وجودها[1] .

---

(١) الفلسفة العربية عبر التاريخ ، رمزى نجار طبعة ثانية ١٩٧٩ بيروت ص٩ — ١٠ .

الفرق بين العلم والفلسفة

لقد كانت الفلسفة مرادفة للعلم ، فقد كان يراد بها كل جهد يقوم به العقل فى سبيل تزويد صاحبه بالمعارف الجديدة ، وكان العلم — عند اليونانيين الأولين — هو المعرفة المنزهة عن كل غرض ، وحسبنا أن نلقى نظرة على الفلسفة التى خلقها الفيلسوف الكبير أرسطو لكى نتحقق من أن الفلسفة عنده كانت تعنى جماع المعارف العلمية فكانت مرادفة للعلم بمعناه العام .

وقد ظل هذا المعنى سائدا فى العصور الوسطى ، فكان الفلاسفة يكتبون فى الكيمياء — والفزياء ، والطب ، والرياضيات والموسيقى والشعر وغير ذلك من نواحى البشرية وخير مثال لهذا النوع من الفلاسفة المفكر العربى الكبير (ابن سينا) الذى جمع بين الفلسفة والطب وكان شاعرا وسياسيا وموسيقارا إلى جانب كونه منطقيا وصاحب فلسفة إلهية .

ولكن المفكرين لم يلبثوا أن فصلوا الفلسفة عن سائر العلوم آملين من راء ذلك أن يقيموا بناءها ، باعتبارها علما مستقلا قائما بذاته ولذلك رأينا حركات انشقاق متوالية فى داخل العلوم الفلسفية ، فانفصل علم الطبيعة أو الفزياء عن الفلسفة على يد كل من جاليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) ونيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٦) وانفصل علم الكيمياء على يد لافوازييه (١٧٤٣ ١٧٩٤) — واستقل علم الأحياء على يد كلود برنار (١٨١٣ - ١٨٧٨) - ثم لم يلبث القرن العشرون أن شهد محاولات انفصال كل من علم النفس وعلم الاجتماع عن الدراسات الفلسفية إذ قد حاول أصحاب الدراسات الإنسانية أن يقيموا بحثهم للظواهر النفسية والإجتماعية على أسس المنهج العلمى التجريبى ، فلم يتبق للفلسفة سوى مباحث المنطق والأخلاق والميتافيزيقا

أو ما بعد الطبيعة.[1]

ولكن على الرغم من وجود علاقة بين العلم والفلسفة إلا أن هناك فروقا بينهما لا بد من معرفتها.

فرق فى الموضوع :

ولعل أول مايخطر من تلك الفروق الأساسية التى تفصل بين الفلسفة والعلوم الأخرى .

أن كل علم يلتزم جانبا واحدا من الكون يختصه بالبحث والدراسة ، ولا يكاد يمس الجوانب الأخرى ، أما الفلسفة فتتخذ من الكون بأسره موضوعا لدراستها وهى تنشدتوحيد المعرفة ماستطاعت إليه سبيلا . فهذا علم النبات لايعدو دائرة النبات ، وهذا علم الفلك لايتجاوز أجرام السماء وهكذا سائر العلوم ، أما الفلسفة فلا تكفيها أجرام السماء ولا ظواهر الأرض بل تتسع وتسعى لتركز الكون كله فى قضية واحدة تكون مدار بحثها ، فإذا كانت العلوم تجعل ألوف الجزئيات فى قانون واحد ، فإن الفلسفة تحاول أن تجعل هذه العلوم نفسها وتخضعها جميعها لقانون واحد .

ولما كانت العلوم — كما ترى لاتتعقب ظواهر الوجود لتردها جميعا إلى أصل واحد ، وقف منها العلم فى بحثه عند حد يرسمه لنفسه ويتخذه أساسا لدراسته ، مسلما بصحته .

أما الفلسفة فلا يجيز لنفسها أن تقف فى بحثها عند عنصر من العناصر ، أو ظاهرة من الظواهر دون أن تحاول تذليلها ثم تجاوزها إلى ما بعدها ، وهكذا إلى أن نصل إلى المبدأ الأول الذى يدور حوله الوجود بأسره ،

---

(١) ص ٧ مبادىء الفلسفة والأخلاق د زكريا إبراهيم .

وإذا فالفلسفة تبدأ مسيرتها حيث ينتهى شوط العلم[1] .

أن كل علم من العلوم إنما يبحث فى مجموعه خاصة من المعارف وفى معلومات جزئية وقوانين معينة تتابعه على قسم معين من أقسام الكون وأجزائه ، بينما نجــــد أن الفلسفة يتسع نطاقها ويمتد أفقها فيتناول جميع الأهداف وتستوعب كل الظواهر مهما تكن ، ثم تحاول تفسيرها تفسيرا كليا لا يقتصر على جزئى من جزئيات هذا العالم ، أو قسم معين من أقسامه وإنما يكون بحثها فى الحقيقة المطلقة ، والحقيقة الكلية التى لا تتقيد ولا تتعين بحد ولهذا المعنى يقول هربرت سبنسر الفيلسوف المحدث فى الفرق بين العلم والفلسفة (أن العلم هو المعرفة الموحدة توحيدا جزئيا ، بيد أن الفلسفة هى المعرفة الموحدة توحيدا كليا)[2]

إن المثل الأعلى للفيلسوف هو شخص يتجنب التخصص فى اهتماماته وتكوينه بقدر ما يحرص عليه العالم ، ومن أهم الشروط الضرورية لكى يكون النظر الميتافيزيقى مثمرا أن يكون نطاق النشاط العقلى للذهن غير محدود ومجال المعرفة شاملا ، بالقدر الذى تسمح به حدود الحياة البشرية .

ومن جهة أخرى فإن مثل هذا الإتساع فى نطاق الاهتمام يعد أمرا ضارا من وجهة نظر العالم ، لأنه قد يصرف انتباه العالم عن التركيز فى مشكلات محددة[3] .

وباختصار فإن اهتمام الفيلسوف ينبغى أن ينصب على النتائج العامة

---

(١) ص ٨ — ٩ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين ، زكى نجيب

(٢) ٣١ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٣) ص ٤٨ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها لهنترميد ترجمة فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ .

لاعلى المعلومات التفصيلية المؤدية إلى هذه النتائج وعلى المبادىء الشاملة لاعلى أساس الإختيارات المتخصصة .

فرق فى الغاية :

أما الفرق فى الغاية فهو أن وجهة النظر العلمية موضوعية خالصة وغير مصطبغة بالصبغة الشخصية أو الانسانية لأن غاية العلم هى وصف الأحداث الطبيعية والظواهر بما فيها الانسان يصرف النظر عما يكون بين هــــذه الأحداث والظواهر وبين الانسان من رابطة أو علاقة .

أما وجهة النظر الفلسفية فإنها ذاتية ومصطبغة بالصبغة الانسانية إذ أن محورها التى تدور حوله هو الانسان وإذا عرضت الفلسفة للكون الطبيعى بالبحث فما ذاك إلا أنه مركز الانسان يؤثر فيه بنشاطه ويعرفه بعقله فغاية الفلسفة التى ترمى إليها معرفة الانسان وأصله ومصيره وعلاقته بالكون الطبيعى الذى هو مركزه الرئيسى فغايتها إذا غاية إنسانية(١) .

الفرق فى النتائج :

وأخير فإن النتائج العلمية تمتاز باليقين وإمكانية البرهنة عليها بصفة قاطعة ، ذلكم أن العالم يقدم لنا النتيجة ويقدم لنا معها — وفى الوقت نفسه — البرهان عليها .

على حين أن الفيلسوف يقدم لنا نتائج ليست يقينية ولا قطعية ولا يستطيع كذلك أن يقدم لنا البرهان القاطع على صحة هذه النتائج أو خطئها .

---

(١) ص ٣٢ من المرجع السابق .

ولهذا كان أخص ما تمتاز به النتائج الفلسفية روح التردد الذى يختلف كل الاختلاف عن روح الجزم واليقين .

يقول صاحب كتاب معالم الفلسفة الإسلامية :

فإذ بحث كل عالم فى جهة من جهات الكون ؛ فإن الفيلسوف يبحث فى أصل الكون ، هل وجد من شيء ؟ أو لا شيء ؟ ؟ وهو هو حادث أو قديم ؟ وهل هو مادة صرف وآلروح عارض من عوارضه ؟ أو هو روح صرف والماده صورة من صوره ؟ أو هو ماده وروح معا ؟ أولا مادة ولا روح ، وإنما هو وهم وخيال كما تزعم فئه من السوفسطائيين ؟

وهل وجـــد الكون صدفة ؟ أو بقدره قادر ؟ ومن هذا القادر ؟ وما صفاته ؟ ومن أى نوع تكون علاقته بالكون ؟ وهل الأفكار الحاصلة من التجربة والاستنباط خطأ أو صواب ؟ وما هو مقياس الحسن والقبيح ، والخير والشر ؟ والحق والباطل[1] .

وليس معنى اختصاص الفلسفة بطائفة من المسائل واختصاص العلم بطائفة أخرى ، أن بينهما فجوه تمنعهما من اللقاء . لا — أنهما يلتقيان التقاء تعاون وتناصر ، يمد القادر منهما يد العون إلى العـــاجز ، ويعطى الوجد المحتاج .

والعلاقة بينهما — فى الغالب — علاقة التكامل فمن أهم الوظائف التى يؤديها الفيلسوف فى العالم العقلى هى تعويض الاتجاه التخصصى للعالم بنوع من المعرفة تبلغ من الإتساع قدر ماتبلغة معرفة العالم من الضيق ، إن كلا من الميدانين يقدم إلى العالم العقلى فى عمومه عين مايفتقر إليه الميدان الآخر ،

---

(١) الأستاذ / محمد جواد مغنيه ص ١٣ معالم الفلسفة الإسلامية .

ولو شئنا المزيد من الدقة لقلنا إن الفيلسوف يشغل مركز جهاز الإستقبال العقلى لكل نتائج العلوم المتعددة فمن أهم وظائفه تجميع كل الوقائع والآراء التى يمكن أن يكتشفها العاملون فى مختلف الميادين العلمية دون أن يكون لديهم الوقت الكافى وربما دون أن يكون لديهم الاهتمام اللازم للجمع بينها فى نسق منظم ، بل إن الفيلسوف لا يقتصر على تجميع هذه المعرفة فحسب وإنما نستطيع التعبير عن مهمته بمجاز آخر فتقول إنه أشبه بمن يعشق لعبة القطع الخشبية إلى حد الإدمان بحيث لا يكتفى أبدا بجمع قطع متعددة فحسب وإنما يريد تركيبها جميعا ، وذلك من جهة لإرضاء نزعته إلى تحقيق شىء ما ، ومن جهة أخرى لكى يرى ما نوع النموذج أو الصورة التى ستكونها القطع وهذا هو الأهم .

فالعلم يكتفى بأن يقتطع أجزاء الصورة الكاملة — أو فى حالات أكثر يضطره ضيق الوقت وقلة الطاقة إلى ذلك — وأقصى ما يفعله هو أن يجمع البعض القليل منها لكى يكون جزءا فحسب من الصورة فى إحدى الأركان الصغيرة داخل الكل ، أما الفيلسوف فيهتم بالكل أكثر مما يهتم بالأجزاء وهو يتوق إلى تكوين الصورة الكاملة إلى حد أنه قد يعمل على سد الثغرات التى لم يتمكن العلم من ملئها بعد ، ولذلك يحاول عن طريق الافتراض والاستدلال أن يصوغ صورة أكمل لطبيعة الأشياء[١] وهكذا يكمل كل منهما الآخر والفلسفة تقوم بدور الملهم للعلم وذلك مثل تلك المفاهيم الرياضة الآلية التى وضعها الفلاسفة فى القرن السابع عشر والتى ساعدت على التمهيد لعمل رجال مثل جاليليو ونيوتن وفى مجال العلم البيولوجى وهكذا يعاون كل منهما الآخر ولذا فقد يقال أحيانا إن مهمة العلم هى الكشف ومهمة الفلسفة هى التفسير .

---

(١) ص٤٧ الفلسفة أنواعها ترجمة د . فؤاد وكريا .

بين الفلسفة والدين

مما لاشك فيه أننا إذا أنعمنا النظر فى تاريخ الفلسفة لوجدنا أنه لا يمكن فصله عن تاريخ غيره من أنشطة الحياة الروحية الأخرى ، فليس هناك حدود حاسمة تفصل بين العلم أو الفن أو الدين أو الأخلاق أو السياسة ، بل هناك تداخل مستمر بين كل تلك الجوانب المختلفة من النشاط الحضارى فلقد كان بين رجال الفلاسفة رجال دين وأهل جدل ودعاه ثورة ورجال سياسة وماشابه ذلك .

والواقع أن الفلسفة قد نشأت — فى جانب منها — عن الدين ، فليس فى وسعنا أن نستبعد من عداد المذاهب الفلسفية كل تلك الفلسفات التى خرجت بين النظر العقلى والإيمان الدينى ومادام الفيلسوف إنسانا فلابد أن يدخل فى صميم مذهبه العقلى عناصر كثيرة يرتد بعضها إلى الدين وبعضها الآخر إلى العاطفة .

ومن المعروف أن الفلسفة لم تنشأ إلا يوم آمن الإنسان بقدره العقل على المعرفة ولكن سرعان ماظهرت مشكلة حدود المعرفة العقلية وإلى أى حد يحق لها أن تمضى فى معالجة المشكلات الإلهية الغامضة ومسائل مابعد الطبيعة المعقدة ومن هنا فإن الفلسفة قد سارت فى طريقة الاستقلال حتى أن كثيرا من المفكرين رأى أن الفلسفة تتميز بنزعتها العقلية والمادية بينما الدين يتميز بإلهامه ووحيه ولذلك فإنه من الطبيعى أن يقوم نزاع بينهما .

ومنذ وجد التفلسف فى تاريخ الفكر الإنسانى عارضا للنزعة الدينية القائمة على الوحى أو التصور العقلى بدأ الانسان يفكر ويسائل نفسه أى هذين المصدرين للمعرفة أوثق وأيهما أحق وأجدر بأن نتلقى عنه معارفنا

وأن نذعن لقضاياه[١] وظهرت مشكلة العلاقة بين العقل والنقل .

وقد حاول كثير من الفلاسفة التوفيق بين العقل والنقل أو بين الفلسفة والدين يقول القديس أوغسطين (العقل يسبق الايمان والإيمان يسبق العقل ، وأنا أومن لكى أتعقل ومعنى ذالك أن لابد للإنسان أن يمتحن الإيمان بعقله قبل أن يسلم به .

فإذا ضمن صحة العقيدة الدينية التى فحصها مبدئيا ، كان أن يسلم بالأسرار التى تتضمنها بمجرد تسليم ، ثم تجىء بعد ذلك مرحلة التعقل الفلسفى للدين ، فيرتفع الإنسان من مرحلة الإيمان الساذج إلى مرتبة فهم هذا الإيمان وتعقل معتقداته ولعل هذا هو ماعناه أوغسطين حينما قال :

(معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان ، حائلا دون التماس علة الايمان ، لأنه لولا العقل لما كان فى وسعنا أن تؤمن)[٢] .

وأما القديس توما الأكوينى فإنه يرى كذلك أن العقل والنقل وسيلتان من وسائل المعرفة ، وهما قد صدرا عن أصل واحد مشترك ، فإن الله هو الذى أودع العقل فى الانسان وهو الذى أعلن للناس حقائق الوحى ، ولما كانت الحقيقة لا يمكن أن تتعارض مع الحقيقة ، فإن الحقيقة لابد أن تكون واحدة ويكون كل من العقل والايمان يؤدى إلى تلك الحقيقة الواحدة ، ولكن الانسان لايستطيع أن يصل عن طريق العقل وحده إلى كافة الحقائق الدينية ، لأن بين هذه الحقائق ما يمتنع على العقل الوصول إليه فلابد والأمر كذلك من أن يضاف الوحى إلى العقل حتى

---

(١) ص ٢٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) ص ١٨٥ مشكلة الفلسفة د . زكريا إبراهيم .

يتسنى للانسان إدراك تلك الأسرار الفائقة للعقل وإذن فان العقل والنقل ليسا نقيضين بل هما يمثلان خطوتين متتاليتين تكمل الواحدة منهما الأخرى فى مجال المعرفة[1] .

ولم يختلف موقف فلاسفة الاسلام من مشكلة العقل والنقل عن موقف فلاسفة المسيحية .

فقد ذهب فريق الأشاعرة إلى أن النظر العقلى المستقل عن الوحى لايصل إلى معرفة الحقائق الدينية ، ولكن مدرسة المعتزلة ترى أن العقل نور طبيعى منحه الله للانسان ليسترشد به فى حياته والشريعه منزلة من الله تعالى الذى وهب العقل الإنسان فكلاهما ـ الشريعة والعقل ـ من مصدر واحد فلا يمكن لهما أن يتعارضا وهذا ماذهب إليه أيضا الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد ابن رشد حيث رفع التناقض بين الفلسفة والدين فألف كتاب أسماه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) والخلاصة التى انتهى إليها من بحثه أن الفلسفة . حق والدين حق والحق لايضاد الحق وإنما يناصره ويآزره ويدعمه ويؤيده ويرى ابن رشد بأن (الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعه وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والعزيزة) .

أما الإمام الغزالى فإنه يرى أن المشكلة الدينية لايمكن أن تحل عن طريق العقل بعجزه عن الاحاطة بأسرار العالم الروحانى ولذلك فانه يقول (أن حقيقة الخالق أمر بعيد عن مقدرة العقل ، لأنه كيف يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟ ـ ويتفق ابن خلدون مع الغزالى فى هذا الرأى ، فهو يرى

---

(١) ص ١٨٦ المصدر السابق .

أن كل من حاول أن يحيط بالله تعالى وصفاته فقد عجز وأخطأ لأنه هو نفسه ذره من زرات الوجود ، فكيف تحاول الذرة أن تحيط بالكل ؟ .

لقد ذهب كثير من فلاسفة الاسلام إلى ضروره تحديد نطاق العقل ، وتقديم حقائق الوحى على ظنون الفلاسفة والاعتراف بأن الوحى قد كفى الانسان عناء البحث الطويل الشاق[1] .

ومنذ عصر النهضة ـ أخذ الصراع يشتد بين الدين والفلسفة أو بين المادة والروح حيث أخذت الفكرة المادية تنمو وتترعرع وتزدهر وتقوى بينما النزعة العقلية أو النظرية الروحية تخبو وتضعف وتضمحل وتتراجع كرد فعل ، وذلك عندما احتضنت الكنيسة فى العصور الوسطى ـ نظريات معينة تمسكت بها وقالت عنها بأنها مقدسة واهتمت بالأبحاث الميتافيزيقية محرمة فى كثير من الأحايين الأبحاث العملية التجريبية المتصلة بالكون الطبيعى وهنا بدأ الصراع بين الدين والفلسفة بأخذ شكلا عنيفا نتيجة لظهور الاختراعات العلمية الحديثة وما أحدثته من زلزلة العقائد فى نفوس الناس وإضعاف ثقتهن بالدين وزعزعه قضاياه فى قلوبهم وظهرت فلسفات المادة والحس تلك التى لاتؤمن إلا بما هو موجود مشاهد ملموس وهنا فقد اتفق رجال الدين والفلسفة على أن يكون لكل منهما دائرة نفوذه الخاصة .

فيختص الدين بعلم المغيبات والحقائق اللامادية وأن يسد هذا الركن من أركان المعرفة الانسانية كما تختص الفلسفة بعلم المحسوسات وأن تسد هـذا الفراغ فى الناحية المادية من محيط المعرفة الانسانية

---

(١) ص ١٨٨ - ١٨٩ مشكلة الفلسفة د . زكريا إبراهيم .

كذلك[1] .

ولقد اختلف الفلاسفة فى التقريب بين الفلسفة والدين أو فى استقلال كل منهما عن الآخر : بعضهم ينادى باستقلال والبعض الآخر يرى التقريب أكثر واقعية يقول بيكون وهو يحاول التقريب بين الدين والفلسفة (إن قليلا من الفلسفة قد يتجه بعقل المرء نحو الألحاد وأما العمق فى التفلسف فإن من شأنه بالضرورة أن يقتاد عقول الناس نحو الدين[2]) .

ومهما يكن اختلاف المفكرين أو اتفاقهم حول العلاقة بين الفلسفة والدين أو بين العقل والنقل ومهما كان اشتراك الفلسفة مع الدين فى وضع إجابات عن أصل الإنسان ومصيره وعلاقته بالكون الذى يعيش فيه ووجود الله وعلاقة الإنسان به وخلود النفس وحرية الإرادة وعلاقة السلوك الإنسانى بالسعادة الإنسانية أقول مع هذا كله فإنى أرى أن هناك عدة أمور تفصل بين الفلسفه والدين فصلا واضحا .

فالفلسفة أكثر اهتماما بالمشكلات العلمية كأصل الكون المادى وتاريخه وقوانينه وتركيبه العام وأصل الحياة وتطورها وطبيعة العلية وما إلى ذلك ، ويمكن أن نقول : إن مجال نشاط الفيلسوف أوسع من مجال نشاط رجل الدين ، ومن ثم فإن المشكلات التى يعالجها الفيلسوف تشتمل نطاقا أوسع بكثير ، كذلك فإن الفيلسوف قد يناضل لحل مشكلات لا تهم رجل الدين إلا بطريق غير مباشر .

كذلك يختلف الميدانان فى درجة التسليم التى يأخذ بها كل منهما قبل

---

(١) ص ٢٩ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) بيكون فى كتابه (مكانه العلوم وتقدمها نقلا عن مشكلة الفلسفة ص ١٩٢ د . زكريا إبراهيم .

به عملياته الفكرية ، وهذا يشمل المسلمات والمصادرات وشتى أنواع الأفكار المفترضة .

ففى الفلسفة مثلا يبذل جهد كبير لتجنب التسليم مقدما بأى شىء مالم يكن ضروريا ضرورة مطلقة ، بل إن الفيلسوف يبذل جهدا كبيرا للاحتراس من المسلمات الخفية أو اللاواعية ويشعر الفيلسوف بأن وجود مسلمات غير معترف بها هو إحدى العقبات الكبرى فى وجه التفكير الواضح ومن ثم فهو يسعى على الدوام إلى تطهير فكره من أى أثر لها .

إن الدين قد يخصص مجلدات لمناقشة علاقة الله بالكون وبالنفس البشرية ولكن مهما طالت مناقشاته فإنها ترتكز على أساس اعتقاد أن الله موجود .

وقضايا الأديان التى تبدأ بمجموعة معينة من الحقائق الواضحة بذاتها والتى لاتتعلق بوجود الله وحدة وإنما تتعلق أيضا بقدرته الشاملة وعلمه المحيط وحضوره فى كل شىء وخيره المطلق ورعايته للكون الخ هذه القضايا أو قل الحقائق هى فى نظر المؤمن أوضح فى حقيقتها من أن تحتاج إلى برهان فهى تبدو واضحة بذاتها ولكنها لاتبدو كذلك فى نظر الفيلسوف وإنما لابد أن يخضعها لتفكير عقله وأسس منطقة ، ذلكم أن الواضح بذاته ليس بالصفة التى يمكن أن يطلقها الفيلسوف على الأشياء بسهولة .

كذلك فإن الفارق الرئيسى بين الفلسفة والدين يكمن فى هدفهما أو غايتهما القصوى ، فهدف الدين هو إعطاء إحساس بالأمان والطمأنينة لا يستطيع الفيلسوف أن يعطيه إيانا أو ينتزعه منا ومن هنا فإنه يتضح لنا أن للدين هدفا عمليا أكثر من الفلسفة ويتضح كذلك أن الدين يكون ـ دون شك ـ أهم فى حياة عدد من الناس يزيد كثيرا وكثيرا جدا على أولئك الذين يمكن أن تسهم الفلسفة ولو من بعيد .

إن الفلسفة تهتم بالنظر أكثر مما تهتم بالعمل وأن الفيلسوف يواصل دائما تأملاته بإصرار سواء أدت إلى نتائج عملية — إلى أية نتائج أو لم تؤد إلى نتائج على الإطلاق .

أما المفكر الدينى فإن هدفه الأول يظل دائما فى إيجاد الأساس العقلى للنشاط عملى إلى أبعد حد إلى بلوغ سلام الروح وطمأنينة القلب وسعادة النفس[1] .

(١) ص ٣٩ — ٤٠ من الفلسفة أنواعها ومشكلاتها تأليف هنترميد ترجمة دكتور فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ نهضة مصر .

نشأة الفلسفة اليونانية

هل التراب اليونانى هو الذى أنتج الفلسفة ؟ أم أن الفلسفة نشأت فى غير هذا التراب ؟ وتأثر بها الفكر اليونانى ؟

الإتجاه الأول :

يرى فريق من الناس أن التفكير الشرقى السابق على التفكير اليونانى تفكير بدائى لم يصل إلى مستوى معين من الدقة ولم يصعد إلى الدرجة التى يستحق بها أن يسمى فلسفة ، ذلكم أنه قبل أن تظهر فلسفة الأغريق فى الوجود وترسل أشعتها على الكون . شاهدت آسيا تكوين كثير من المبادىء الفلسفية ونموها واتخذت مرسحا لها فى أرض الفرات وبلاد فارس والهند والصين ومع ذلك فان هذا الفريق يبعد فلسفة اليونان عن كل أثر لما وجد عند الأمم الشرقية من الصين والفرس ومصر حيث أن تفكير هذه الأمم لم يصل فى نظرهم إلى نظم فلسفية وإنما كان لهم بعض تعاليم توارثوها وعادات تواضعوا عليها ومعتقدات مستمدة من الكتب الدينية المختلفة مثل كتاب الموتى عند قدماء المصريين وكتاب الفيدا عند الهنود ، وكتاب الأفستا عند الفرس فكل ما أنتجته العقلية الشرقية فى نظرهم هو بعض الحكم التى تحبب الناس فى الزهد فى الدنيا والقرار من السيادة عليها [١] .

يقول أرسطو :

أن الفلسفة لاتبدأ إلا من القرن السادس قبـــل الميلاد على يد طاليس الملطى .

ويقول أصحاب (دروس فى الفلسقة التوجيهية) .

---

(١) ص ٣٩ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

ففى العصر القديم لانجد فلسفة بمعنى الـكلمة إلا لدى اليونان فعندهم نبتت ونمت وتم تكوينها فيما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل المسيح واستمرت بينهم إلى أن تقلدها منهـــم الغرب المسيحى والشرق الإسلامى واليهودى ثم تطورت طوال العصر المتوسط حتى بلغت إلى العصر المتوسط حتى بلغت إلى العصر الحديث فاصطنعها هو أيضا وذهب فيها مذاهب شتى دون أن يفقدها وجهها الأصلى .

ونحب هنا أن يفهم مرادنا على حقيقته ، فنحن لانقصد إلى أن الشعوب الشرقية القديمة لم تعرف المسائل الفلسفية الكبرى كلا فانها عرفتها وأعملت فيها عقولها ، قبل أن يتفلسف اليونان ولـكنها لم تعالجها بالحد والبرهان ، كما فعل هؤلاء ، بل أرسلت القول فيها على مايرسل الشعراء واستخدمت الشيء الـكثير من الخيال فصاغت آراءها فى قصص وأساطير وجاءت هذه الآراء أقل نضوجا وأحكاما من أراء فلاسفة اليونان[1] .

ويقول صاحبا قصة الفلسفة اليونانية :

لم تستمد الفلسفة اليونانية أصولها من تلك الأمم القديمة ، ولـكن خلقها اليونان خلقا ، وأنشأوها إنشاء ، فهى وليدتهم وربيتهم ليس فى ذلك ريب ولاشك ، ويستطيع الباحث أن يرجع بالفلسفة خطوة بعد خطوة حتى يصل إلى مهدها فى بلاد اليونان دون أن يشعر فى خلال البحث بحلقة مفقودة أو غامضة[2] .

ويقول صاحبا قصه الفلسفة اليونانيه :

---

(١) ص ٢٩٠ — ٢٩١ التفـكير الفلسفى الإسلامى د . سليمان دنيا نقلا عنه .

(٢) أحمد أمين ، زكى نجيب محفوظ ص ١٦

ليس منامن لا يعلم ماأداه اليونان فى الفن والأدب، لكن ماأوردوه فى النطاق العقلى الخالص أشد غرابة مما أدوه فى الفن والأدب على عظمته، فهم الذين اخترعوا الرياضة والعلم والفلسفة اختراعا وهم أول من كتب التاريخ متميزا عن مجرد سرد أخبار، وهم الذين أرسلوا الفكر حرا فى طبيعة العالم ونهاية الحياة. دون أن يغلوا أنفسهم بقيود العقائد الموروثة، وكان ماصنعوه فى ذلك من الروعة بحيث ظل الناس حتى عصور حديثة جدا يكتفون أزاء العبقرية اليونانية بفتح أفواههم دهشة وبالحديث عن تلك العبقرية كما يتحدثون عن ألغاز السحر[1].

الإتجاه الثانى :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفلسفة اليونانية قد أخذت وتأثرت بأفكار أمم الشرق وأنها وصلت إلى اليونان ممزوجة على يد فيثاغورث فى القرن الخامس قبل الميلاد وإن كان من الصعب معرفة مقدار ماوصل اليونان من فكر تلك الأمم ومعنى ذلك أن الفلسفة قد نشأت فى الشرق وتأثر بها اليونان بدرجة أو بأخرى يقول ذيوجانس أدلاترس : ـ

أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين[2].

ويقول : جاستون مليو فى كتابه (دراسات جديدة فى تاريخ الفكر العلمى).

أن البحث فى تاريخ الرياضة بوجه عام يظهرها على أن الرياضيات كانت عند المصريين والشرقيين قد وصلت إلى درجة عليا من التطور.

---

(١) ص ٨ ربيع الفكر اليونانى. عبد الرحمن بدوى طبعة رابعة سنة ١٩٦٩.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية جـ ١ ترجمة د. زكى نجيب محفوظ ص ٢٣.

ويقول صاحب تاريخ الفلسفة الأوربية :ـ

لقد وجد العقل مع الإنسان وبقى هو فى جوهرة واستخدمته الأمم الشرقية فى الماضى السحيق فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ولقلتها لليونان فأغنتهم عن بذل الجهد والوقت فى استكشافها بأنفسهم، وفضلا عن العلم والفنون نجد عند الأمم الشرقية القديمة قصصا دينية وأفكارا فى العالم والحياة، إذا اعتبرنا موضوعها ومغزاها رأيناها حقيقة بأن تسمى فلسفة .

فقد نظروا فى أسمى المسائل مثل الوجود والتغير والخير والشر والأصل والمصير ، ولم تخرج الفلسفة فيما بعد عن هذه النظريات الكبرى بل قد تستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيله شرقية تقدمتها أو أصلا قد تكون منه[1] .

ويقول ديوجين لا ايرس :

إن الفلسفة الأغريقية ليست إلا تراثا شرقيا متغلغلا فى القدم .

ويقول الأستاذ روبرتسون .

أن الاعجاب الشديد باليونانيين قد حمل كثيرا من أصحاب الرأى إلى أن ينكروا حقيقة تأثر المدنية اليونانية بمدنيات الشرق القديمة حتى أنهم لم يكتفوا بإنكار ذلك الأثر بل تطرقوا إلى القول بأن الفكر اليونانى وليد بلاد اليونان تأصل فيها ونشأ غير متأثر بشىء بما سبقه من منتوجات الفكر الإنسانى وجهوده[2] أن هذا الاتجاه الأخير الذى يقرر بأن الفلسفة اليونانية قد تأثرت بفلسفات شرقية سابقة عليها فى النشأة هو ماتميل إليه

(١) أنظر التفكير الفلسفى الإسلامى د . سليمان دينا ص ٢٩٧ .

(٢) ص ٢٩٩ المرجع السابق .

لأن الفكر الإنسانى ماهو إلا سلسلة متصلة الحلقات يؤثر بعضها فى بعض منذ عصوره الأولى حتى هذه العصور الحديثة التى نعيش فيها وأن مجرد أن يقال أن الفكر الأغريقى أو الفلسفة الأغريقية قائمة بذاتها ، مستقلة عن غيرها ، غير متأثرة بشىء سواها تعسف وجهل بطبائع الأشياء [١] .

فلقد كشفت البحوث التى قام بها المستشرقون فى السنوات الأخيرة عن وجود حضاره شرقية بابلية زاهرة وفى إحدى القصائد التى أنتجتها هذه الحضارة ، قصيدة تسمى قصيدة الخلق وفيها نجد كلاما عن بدء العالم يشبه فى ظاهرة كلام طاليس إذ يقول صاحب هذه القصيدة أنه قبل أن يكون للسماء اسم وقبل أن يكون للأرض اسم ، كانت الأشياء كلها مختلطة فى الماء ، فهذا الكلام يشبه كثيرا ماقاله طاليس ، مما دعا هؤلاء المؤرخين إلى القول بأن الفلسفة قد نشأت فى بلاد العراق بين النهرين [٢] .

ولقد قرر العلماء المشتغلين بالبحث فى الإنسان وخواصه أن بعض النظريات الاغريقية لايمكن أن تكون من أصل أغريقى لأنها توفرت فيها جميع شرائط العقلية الشرقية وخواصها [٣] .

ويقول جوستاف لوبون :

أنه إلى زمن ليس بالبعيد كان الناس يعتقدون أن اليونان غير مدينين فى فنونهم وعلومهم وآدابهم لغيرهم من الأمم التى سبقتهم ولكن هذا الرأى لم يعد التسليم به ممكنا ، فإنه وإن كانت الحضارات القديمة قد بلغت الأوج فى بلاد الأغريق إلا أنها ولدت وتمت فى الشرق ، ونحن نعلم اليوم

---

(١) ص ٤٢ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .
(٢) ص ٨ — ٩ ربيع الفكر اليونانى د . عبد الرحمن بدوى
(٣) ص ١٦ تاريخ الفلسفة الشرقية د . محمد غلاب

أنه فى العصر الذى لم يكن فيـــه اليونان إلا جهلة وبرابرة ، وكانت هناك حضارات لامعة زاهرة على ضفاف النيل وفى سهول كلديا .

مراحل الفلسفة اليونانية

لقد مرت الفلسفة عند اليونان فى عدة مراحل : ـ

المرحلة الأولى : ماقبل سقراط وتبتدىء من طاليس المالطى فى الجيل السابع إلى سنة ٤٨٠ قبل الميـــلاد .

وفى هذه المرحلة الباكرة لم يكن الفكر اليونانى قد استحق بعد أن يصنف تحت خانة الفلسفة الناضجة ، ذلك لأن اهتماماته كفكر كانت متوزعة ضعيفة التركيز يمازجها الشعر والدين ، وضاع منها الكثير ، ولكن رغم ذلك نستطيع فى هذا الطور أن نبين خطوطا مستقلة للفكر اليونانى. وقد نفرز هـــذه الخطوط فى أربعة مذاهب فكرية هى سبل الفكر اليونانى القديم .

هذه المذاهب هى :

(ا) المذهب الطبيعى أو الأيونى .

(ب) المذهب الرياضى أو الفيثاغورى .

(جـ) المذهب الماورائى أو الإيلى

(د) المذهب السفسطائى .

المرحلة الثانية : العصر السقراطى من سنة ٤٨٠ إلى ٣٩٩ ق . م وفى هذا العصر اتجهت الأبحاث الفلسفية من عالم الطبيعة إلى الإنسان يقول

شيشرون عن سقراط أنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها إلى صميم المدن والبيوت .

المرحلة الثالثة : بعد أرسطو وتبتدىء من تاريخ وفاة هذا الفيلسوف سنة ٣٢٢ ق م وتنتهى بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة فى القرن الثالث الميلادى ومباحث الفلسفة فى هذا العصر اتجهت إلى علم الأخلاق والخير الأعظم وتناولت الفلسفة كل فرع من فروع العلم وقد وصلت إلى درجه رفيعة من التقدم وخاصة على يد الفيلسوف الكبير أرسطو .

المرحلة الرابعة : الأفلاطونية الحديثة من القرن الثالث الميلادى إلى سنة ٥٢٩ ميلادية حيث أغلقت المدارس الفلسفية بأمر الامبراطور (جوستنيان) حيث لم يجد للفلسفة فائده بعد أن هجر المدارس طلابها .

المدرسة الأيونية

الطبيعيون الأوائل

كانت المدرسة الأولى التى ظهر فيها التفكير الفلسفى المنظم هى مدرسة الطبيعيين الأوائل ، وكان أول فيلسوف ظهر فى هذه المدرسة هو (طاليس) مؤسس المدرسة الأيونية الذى ولد حوالى سنة ٦٢٤ ق م فى مدينة ملطية بمقاطعة (أيونيا) على ساحل آسيا الصغرى وتوفى فى سنة ٥٤٦ ق م فعاش نحو قرن من الزمن ويقال أنه فنيقى الأصل .

ولقد كانت حياة هذا المفكر مليئة بالرحلات الهادفة فقد جال أنحاء الشرق وأقام درحا فى مصر على عهد أمازيس وتبحر فى العلوم وعمل كمهندس حربى فى خدمة آخر ملوك ليديا فى آسيا الصغرى وبرهن على أن الزوايا المرسومة فى النصف من الدائرة تكون قائمة وكان يقوم بحساباته من فوق برج أبعاد السفن فى البحر من الشاطىء ، وأنبأ بكسوف الشمس الكلى الذى حدث فى نهاية مايو عام ٥٨٥ قدم ووضع تقويما للملاحين من أهل وطنه ضمنه إرشادات فلكية وجوبه ، منها أن الدب الأصغر أدق الكواكب دلالة على الشمال وفى الفترة التى قضاها فى مصر أخذ علم المساحة وشغل بمسألة فيضان النيل ودل أساتذته المصريين على طريقة لقياس ارتفاع الأهرام ، وكانوا قد تعبوا فى البحث عنها ، فأرشدهم إلى أن ظل الشيء يساوى ارتفاعه فى وقت من النهار فطول ظل الأهرام فى ذلك الوقت هو مقدار ارتفاعها وأن النسبة محفوظة بين طول الظل وارتفاع الشيء فى أى وقت .

فلسفة طاليس

كان طاليس — على حد تعبيـــير الشهرستانى — هو أول من تفلسف فى ملطية[1] وكان يقول : أن للعالم مبدعا لاتدرك صفته العقول من جهة هويته ، وإنما يدرك من جهة آثاره . وهو الذى لايعرف اسمه فضلا عن هويته ، إلا من نحو أفاعيله ، وإبداعه وتكوينه الأشياء ويتابع نيتشة رأى الشهرستانى الذى ذهب إليه حيث يرى نيتشة بأن طاليس قـــد قال بحقائق ثلاث : —

فهو أولا قد تحدث عن أصل الأشياء أو عن الأصل الذى تصدر عنه الأشياء .

وثانيا كان كلام طاليس عن هذا الأصل خاليا من الأساطير .

وثالثا قال : إن كل شىء واحد .

وهذا الواحد الذى أرجع إليه طاليس كل الأشياء هو الماء ولقد حاول أرسطو أن يفسر الأسباب التى دعت طاليس إلى أن يجعل من الماء أصلا لكل الكائنات فقال :

لعل السبب الذى دفع طاليس إلى هذا القول هو أنه رأى أن الكائنات الحية تتغذى من الأشياء الرطبة فالماء إذن أصل الحياة[2] وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسمانى فمن جمود الماء تكونت الأرض ، ومن

---

(١) ص ٦٦ الشهرستانى تخريج بدران القســم الثانى طبعة ثانية الملل والنحل .

(٢) ص ٩٥ ربيع الفكر اليونانى : عبد الرحمن بدوى .

انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الهواء تكونت النار ، ومن الدخان والأبخره تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها إليه[1] .

يقول صاحب قصة الفلسفة اليونانية :

فليس عجبا إذن أن ينهض طاليس أول فيلسوف عرفته الدنيا وأجمع على فلسفته المؤرخون . ويجهر بأن الماء هو قوام الموجودات بأسرها فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الإختلاف فى كمية الماء الذى يتركب منها هذا الشيء أو ذاك .

أليس الماء يستحيل إلى صور متنوعة فيصعد فى الفضاء بخارا ، ثم يعود فيهبط فوق الأرض مطرا ، ثم يصيبه برد الشتاء فيكون ثلجا ؟ .

إذن فهو غاز حينا ، وسائل حينا ، وصلبا حينا وكل مايقع فى الوجود لايخرج عن إحدى هذه الصور الثلاث[2] .

لقد كان الماء عند طاليس هو المادة الأولى التى صدرت عنها الكائنات وإليها تعود ويستدل طاليس على رأيه هذا بأمور منها .

١ — أننا نجد أن النبات والحيوان مثلا يتغذى بالرطوبة ولا يستطيع الحياة بدونها والرطوبة إنما تنشأ عن الماء وكما أن قوام الشيء إنما يتكون عما يكون منه ذلك الشيء كان من الطبيعى أن يتكون الإنسان والنبات من الماء .

---

(١) ص ٦٧ الملل والنحل للشهرستانى فى القسم الثانى بدران .

(٢) ص ٢١ أحمد أمين وذكى نجيب فى قصة الفلسفة اليونانية .

٢ — أن التراب يتكون من الماء ويطفى عليه شيئا فشيئا كما يشاهد فى الدلتا المصرية وفى أنهر أيونية حيث يتراكم الطمى عاما بعد عام وما يشاهد فى هذه الأحوال الجزئية ينطبق على الأرض بالأجمال[1] فإنها خرجت من الماء وصارت قرصا طافيا على وجهه، وهى تستمد من هذا المحيط اللامتناهى العناصر الغازية التى تفتقر إليها .

هذه هى فكرة طاليس الساذجة فى الكون وذلك تفسيره لها باختصار وهذه أول محاوله فكرية لتفسير الكون وفى نقل التفكير اليونانى من الأساطير والخرافات المحضة كما ظهر فى فعل هوميروس إلى نوع من التفلسف أو التأمل فى الكون معتد به كمبدأ للطريق لا كمثال يحتذى فى التفكير الإنسانى[2] .

وطاليس هذا أحد الحكماء السبعة فى اليونان ، كل واحد منهم اشتهر بحكمة قالها وتجرى الرواية بأن حكمته التى قالها هى أفضل الأشياء هو الماء[3].

---

(١) ص ١٣ تاريخ الفلسفة اليونية يوسف كرم طبعه سادسة .

(٢) ص ٥٦ الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب د . محمد بيصار

(٣) ص ٥٥ تاريخ الفلسفة الغربية رمل ترجمة ذكى نجيب .

أنكسندر

هذا هو الفيلسوف الثانى من فلاسفة المدرسة اليونية الذى عاش مابين عام ٦١١ — ٥٤٧ قبل الميلاد والذى تتلمذ على يد طاليس وكان صديقا له وأصغر منه سنا .

وكان انكسندر مليئا بحب الاستطلاع العلمى ويقال أنه أول إنسان رسم مصورا جغرافيا وأول من ألف الكتب ، استحضر من بابل إلى اليونان (الغنومون) أى المزاولة أو الساعة الشمسية ولقد حاول مقياس النجوم فكان القمر على زعمه أكبر من الأرض تسعة عشر مرة والشمس أكبر منه سبعة وعشرين مرة والأرض اسطوانية الشكل كالعامود وهو واضح المبدأ الشهير « لا يمكن خلق شيء من لاشيء » ولذلك فإن الفيلسوف يرتد أندرسل يرى أن انكسندر أحق من طاليس بالعناية .

فلسفته :

رفض هذا الفيلسوف ماذهب إليه أستاذه طاليس فى جعل لماء بأصل الوجود معللا ذلك بما يأتى :

١ — أن الماء استحاله اليابس بالحرارة إلى المائع وإذا فالجامد سابق على الماء فليس الماء — تبعا لذلك — مبدأ أولا للكون .

٢ — أن الماء معين ومحدود ولا يمكن أن يكون المبدأ الأول معينا أو محدودا وإلا لما تولدت منه الأشياء المتميزة ولذلك ذهب إلى أن الأشياء كلها مستمدة من عنصر أول واحد لكن هذا العنصر ليس هوالماء كما ظن طاليس ولاهو عنصر آخر من عنصر آخر تلكم العناصر التى نعرفها ، بل أنه لانهائى وخالد ولا حدود لزمانه وهو يحتوى على العوالم كلها .

وهذا العنصر الأول يتحول إلى العناصر المختلفة التى تألفها ثم تتحول هذه العناصر المألوفة أحدها إلى الآخر وله فى ذلك عبارة هامة تستلفت النظر أنه يقول :

أن الأشياء تعود فترتد إلى العنصر الذى منه نشأت كما جرى بذلك القضاء لأنها تعوض بعضها بعضا ، ويرضى بعضها لما وقع منها إجحاف ، كما يقضى بذلك أمر الزمان .

وكان لانكسندر حجة يدلل بها على أن العنصر الأول لا يمكن أن يكون ماء ولا عنصرا آخر غير الماء مما نعرف ، لأنه لو كان بين هذه العناصر عنصر أولى لا كتسح العناصر الأخرى ويروى أرسطو عنه قال .

أن هذه العناصر المعروفة لتايعارض بعضها بعضا فالهواء بارد والماء رطب والنار حارة وعلى ذلك فلو كان أحد هـذه العناصر لانهائيا لزالت العناصر الباقية قبل اليوم وإذن فلابد أن يكون العنصر الأولى محايدا فى هـــذا الصراع الكونى .

وكان ثمة حركة منذ الأزل ، تمت فى غضونها نشأة العوالم ذلك أن هـذه العوالم لم تخلق كما تقول اليهود ؟ والمسيحية بل تطورت ، وكذلك حدث تطور فى مملكة الحيوان . فنشأت الكائنات الحية من العنصر الرطب حين أخذت الشمس تبخره ، والإنسان — كأى حيوان آخر — هو سليل الأسماك

اتجه انكسندر إلى المادة اللانهائية يعلل بها نشأة الكون فزعم أن المادة التى تكونت منها الموجودات هى شيء غامض غير محدود ولا معين تختلط فيه جميع الأشياء فلا هو هذا ولا ذاك : عنه تصدر وإليه تعود بمقتضى حركة أبدية تدفعها يد القدره فالسموات والعالم نشأت من هذا الشيء اللامحدود تبعا لبعض قوانين ثابتة .

ولما كانت الكواكب آلهة سماوية (على زعمه) فانه يخضعها أيضا لتلك القوانين .

والذى يدهشنا كثيرا أن هذا الفيلسوف قال بنظرية التطور (مذهب النشوء والارتقاء) الذى جاء به داروين فى القرن التاسع عشر .

حيث ذهب إلى أن الحيوانات كانت كلها مائية فلما تركت فيما بعد فى الجفاف تطبقت بحالتها الجديدة ، ثم أخذت فى التطور حتى تشكلت نهائيا بأشكالها الحالية .

والإنسان على رأيه تسلسل من سمكة .

والمادة عند انكسندر لامتناهية من ناحية الكيف لأنها غير متعينة وغير قابلة للاتصاف وكذلك لامتناهية من ناحية الكم لأنها غير محدودة بحدود تميزها عن غيرها وعن طريق الحركة التى تعمل على تجميع العناصر بعضها إلى بعض توجد الأشياء أو تفرق بينها فتنعدم ثانية أو يوجد منها شيء أو أشياء أخرى[1] .

---

(١) أنظر ص ٦٧ — ٥٨ تاريخ الفلسفه الغربية ج ١ رسل ترجمة ذكى نجيب و ص ٥٨ الفلسفة اليونانية د محمد بيصار و ص ١٤ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم و ص ٩٧ ربيع الفكر اليونانى عبد الرحمن بدوى و ص ٢٣ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين وذكى نجيب و ص ٥١ تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

أنكسمانس — ٥٨٨ — ٥٢٤ ق م

هذا هو الفيلسوف الثالث من فلاسفة ملطية الذى تتلمذ على يد لانكسندر فدرس علم الفلك على مثال من تقدمه وهو أول من رأى أن حرارة الشمس ناشئة عن سرعة الحركة مما يدل على أنه كان ملما بعلم الميكانيكية ، ومن رأيه أن الأرض تشبه المنضدة المستديرة(١) .

وقد كان لانكسمانس أثر هام فى فيثاغور — كما كان قوى التأثير فى جانب كبير من التفكير الفلسفى الذى ظهر بعد ذلك — فعلى الرغم من أن الفيثاغوريين قد اهتدوا إلى أن الأرض كروية الشكل ، فقد اعتنق الذريون مذهب انكسمانس فى أن الأرض شكل القرص المستدير .

فلسفته :

أن الأساس الذى قد تكونت منه الأشياء — عنده ليس هو اللامتناهى كما زعم انكسيمندر بل هو الهواء لأنه ضرورى للحياة وأنه يحيط بكل شىء فيغلف الأرض ويملأ فى نظره جوانب السماء بل ويتغلغل فى الأشياء والأحياء مهما دقت .

لقد رأى انكسمانس أن مصدر الحياة فى الإنسان هو الهواء لأنه بمجرد انتهاء التنفس تنتهى الحياة فصدر الحياة فى الإنسان إذن هو التنفس أو بعبارة أخرى هو الهواء فنقل انكسمانس هذا المصدر من الإنسان إلى الطبيعة الخارجية كلها . وفى هذا تظهر صحة رأى نيتشة وهو أن الفلاسفة اليونانيين قد انتقلوا من التشبيه الإنسانى إلى الطبيعة الخارجية مباشرة .

---

(١) ص ٥٩ تاريخ الفلسفة الغربية جـ ١ رتسل ترجمة ذكى نجيب .

وكان انكسيمانس بعد النفس روحا هى الهواء أى أن النفس كانت عنده هواء .

كيف نشأ الكون ؟

يحاول انكسيمانس — فى تفسيره لنشأة الكون — أن يوضح الفكرة الغامضة التى قال بها انكسندر وهى فكرة الانفصال فيقول أن ذلك يتم عن طريق التخلخل والتكاثف . فالطريقة التى تصدر بها الأشياء عن المبدأ الأول — الهواء — هى بأن يتخلخل أو يتكاشف ويستمر التخلخل حتى تنشأ جميع الأشياء[1] .

فالهواء يتكاثف حينا فيكون شيئا ويتخلخل . حينا فيكون شيئا آخر ، والهواء إذا أمعن فى تخلخله انقلب نارا ، فإذا ارتفعت كونت الشموس والأقمار ، وإذا هو أمعن فى التكاثف انقلب سحابا ثم أنزل السحاب ماء ثم تجمد الماء فإذا هو تربة وصخور هذا وليست الأرض إلا قرصا مسطوحا يسبح فى هواء[2] .

يقول صاحب كتاب الملل والنحل وهو يبين رأى انكيمانس ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحانى لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث ، وما كون من كدر الهواء كثيف جسمانى يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث ، فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات ، وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسميات[3] .

---

(١) ص ١٠٢ ربيع الفكر اليونانى عبد الرحمن بدوى .

(٢) ص ٢٦ قصة الفلسفة اليونانيه أحمد أمين وآخر .

(٣) الشهرستانى ص ٧٢ ج ٢ بدران .

ويعلق الفيلسوف برتراند رسل على أقوال هؤلاء الفلاسفة فيقول :

ولنا أن تعتبر تأملات طاليس وانكسندر وانكيمانس فروضا علمية وهى تأملات قد برأت نفسها — إلا فى مواضع نادرة — من إقحام الرغبات البشرية والأفكار الخلقية عند تفسير الكون فالأسئلة التى أثارها هؤلاء فى تأملاتهم كانت أسئلة جديرة بالبحث وجاءت حيويتهم مصدر وحى الباحثين بعدهم[1] .

---

(١) ص ٥٩ تاريخ الفلسفة الغربية ج ١

هرقليطس ٥٤٠ — ٤٧٥ ق م

ولد فى أفسوس من أسرة عريقة فى الحسب وكان متشائما يسىء الظن بالحوادث فلم يكن يرى إلا باكيا وكانت فلسفته غامضة حتى أن سقراط قال أنه لم يفهم منها إلا نصفها وكان يزدرى العلم الجزئى « الذى لا يثقف العقل » وينعى على من يشتغل به وكان يعتبر العلم الجدير به هو التفكير العميق فى المعانى الكلية وكان أسلوبه فخما مبهما وهو على حد تعبيره (أنه لا يفصح عن الفكر ولا يخفيه ولكنه يشير إليه) .

فلسفته :

يرى أن أصل العالم النار فهى المبدأ الأول للوجود ، ولكن لا ينبغى أن نفهم أنها النار المحسوسة التى نراها ونستخدمها فى حياتنا وإنما هى نار إلهية لطيفة جدا ، نسمة حارة حية عاقلة أزلية أبدية تملأ العالم وهى حياته وقانونه هذه النار تتخلخل فتصير نارا محسوسة ثم تتكاثف النار فتصير هواء ثم يتكاثف الهواء فيصير الهواء ماء ثم يتكاثف الماء فيصير أرضا ثم يرتفع من الماء والأرض أبخرة تتراكم سحبا فتلتهب وتنقدح وتعود نارا ، يتخلخل اليابس إلى ماء والماء إلى هواء والهواء إلى نار وهكذا باستمرار . فالتغير يجرى فى طريقين طريق إلى أسفل وطريق إلى أعلى ومن تقابل هذين التيارين تتكون الموجودات من الحيوان والنبات وهكذا يستطرد هيرقليطس فى بيان رأيه مما لا داعى إلى الإطالة بذكره .

ولكن نلفت النظر إلى قوله :

أن الأشياء فى تغير متصل « والتغير هو انتقال الأشياء وبالتدقيق الكيفيات من ضد إلى آخر فالساخن يصير باردا والبارد ساخنا ، والجاف

يصير رطبا والرطب جافا ، والنزاع الدائم بين الأضداد هو سنة الوجود أما التحالف بينها فهو يؤدى إلى اختلاط الأشياء بعضها ببعض ، هــــذا الصراع هو علة الحركة الدائمة فى الوجود ولا يسعنا إلا أن نذكر هنا عبارته المشهورة — وكل شىء يسيل ولا شىء يبقى والإنسان لاينزل الماء مرتين لأن — المياه تتجدد باستمرار .

إن الشىء ـ عنده ـ فى تغير مستمر لاينقطع فنحن موجودون وغير موجودين نحن ننزل النهر ولا ننزل من حيث .

أن التغير مستمر ودائم وقد أكد هيرقليطس أن كل مظاهر التغير والصيرورة إنما تحــــدث فى العالم طبقا لنظام دقيق يحقق الإنسجام بين الأضداد ، والذى يحكم هذا النظام هو القانون الإلهى الكامن فى الوجود أنه كما يقول (اللوغوس) أو العقل الإلهى الذى يسرى فى الوجود منذ الأزل وإلى الأبد .

الفلسفة الفيثاغورية

ولدفيثاغور مؤسس هذه المدرسة فيمابين عام ٥٧٠ - ٥٧٠ ق م وهو أول من قال (لست حكيما فإن الحكمة لاتضاف لغير الآلهة وما أنا إلا فيلسوف) فوضع لفظ فلسفة وهى كما تعلمون محبة الحكمة لأول مرة فى تاريخ الفكر البشرى ولم تكن هذه المدوسة التى رأسها هذا الفيلسوف مدرسة فلسفية فحسب بل كانت إلى جانب هذا أو قبل هذا مدرسة دينية أخلاقية ، على نظام الطرق الصوفية .

فإلى جانب المبادىء الفلسفية التى قالت بها هذه المدرسة توجد مبادىء صوفية ومذاهب متصلة بالزهد والعبادة .

ولقد اصطدمت تعاليم هذه المدرسة التى أرادوا أن ينشروها على أهل (كرتونا) بآراء الحكومة فنتج عن ذلك حرق مكان اجتماعهم وقتل وتشريد الكثير منهم .

فلسفتهم :

كان الفيثاغوريون علماء فى الرياضة وفى فن الموسيقى وكانوا يوفقون بين العلم والفن فقالوا : أن العدد مبدأ الموجودات ومادتها ، والأعداد أما فردية وأما زوجية ، فالزوجى غير محدود والفردى محدود أما لأنه يضع حد القسمة على اثنين ، وأما لأنه إذا أضيف على الواحد مجموع الأعداد الفردية تحصل على مربع تام ، وجميع الأعداد التى تزيد على العشرة ماهى إلا تكرار للعشرة الأولى التى هى مصدر الكل فالواحد هو الجوهر الأول الذى يتضمن فى ذاته العددين الزوجى والفردى ، والاثنين أول الأعداد الزوجية كما أن

الثلاثة أول الأعداد الفردية ، والأربعة أول المربعات كما أن العشرة مؤلفة من الأربعة أعداد الأول .

وبما أن العدد يؤلف كل شيء كذلك كل شيء يتضمن فى ذاته أركان العدد أى الفردى والزوجى أو المحدود والغير المحدود فالفردى والمحدود أحسن الأشياء ، وأكملها والزوجى والغير محدود على ضد ذلك .

ولذلك تتجزأ الأشياء إلى مجموعتين متعارضتين :

الأولى ـ تتضمن الخير والمحدود .

الثانية ـ تتضمن الشر والغير محدود وهذا بيان العشرتين المتقابلين

١ ـ محدود وغير محدود	٢ ـ فرد وزوج .
٣ ـ وحده وكثرة .	٤ ـ يمين ويسار .
٥ ـ ذكر وأنثى .	٦ ـ سكون وحركه .
٧ ـ معتدب ومنحنى .	٨ ـ مربع ومسيل .
٩ ـ نور وظلام .	١٠ ـ حسن وردىء

وعندهم أنه فى البدء كانت توجد نار فى وسط الكون وبقوة الجذب تجمعت أجزاء الغير محدود القريبة من مركز تلك النار وتكون منها المحدود أى العالم .

والسبب الذى دفعهم إلى هذا الاتجاه هو كما يقول أرسطو مارأوه من إنسجام بين الأشياء وعلى الأخص بين حركات الكواكب ، فنقلوا هذا الانسجام الموجود فى الكواكب إلى الأشياء وحسبوا أن الأشياء أيضا خاضعة لهذا الانسجام ، كذلك لاحظوا ـ من كثرة عنايتهم بالموسيقى ـ أن النغمات أو الانسجام يقوم على الأعداد فالنغمات الموسيقية تختلف

الواحدة منها عن الأخرى تبعا للعدد[١] .

وهكذا ذهبت المدرسة الفيثاغورية إلى أن جوهر الكون أعداد رياضية تتركز كلها فى الواحد وهم بذلك قد خطوا بالفلسفة خطوة جديدة نحو التفكير المجرد ، فبدأت الفلسفة منذذلك الحين تتحلل بعض الشيء من تلك النزعة الطبيعية (الفيزيقية) التى سادت عند فلاسفة يونيا ، لتستقبل صيغة جديدة .

— هى صبغة الفلسفة فى أصح معانيها — أعنى التفكير المحض فيما وراء الطبيعة وظواهرها .

ولئن كان مجهود المدرسة الفيثاغورية فى ذلك الانتقال ضئيلا مملوءا بالأوهام فإن الفلسفة مدينة لهم بالمحاولة الأولى فى ذلك على كل حال[٢] .

---

(١) ص ١٠٨ ربيع الفكر اليونانى د . عبد الرحمن بدوى .
(٢) ص ٣٨ قصة الفلسفة اليونانية .

المدرسة الايلية

أسس هذه المدرسة بارمنيدس وكان قد سبقه فيها أكسانوفان الذى أعلن أصل المذهب الذى وصفه بارمنيدس فى صورته الكاملة وجاء بعده زينون فنصب نفسه للدفاع عنه . ثم مليسوس الذى أدخل عليه بعض التعديل دون أن يمس جوهره .

ويدور مذهب بارمنيدس باختصار شديد على أن أصل الوجود هو هو الوجود نفسه فليس فى الكون كله إلا هذه الحقيقة وهى حقيقة الوجود .

وإذا كان لا بد لهذا الوجود من أن يتصف بشىء فلا يمكن أن يتصف إلا بأنه موجود :

أن العالم فى رأى هذه المدرسة موجود واحد وطبيعة واحدة لا كثرة فيها ولا تغير ولا حركة ورأيهم بهذا يخالف رأى الطبيعيين الأوائل الذين فرضوا موجودا واحدا (ماء أو هواء أو نارا) واستخرجوا منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير العرض[1] .

---

(١) ص٢٧ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم و ص ٦١ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

مدرسة الذرات

لقد وضع أساس المذهب الذرى لوقبيوس وديمقريطس وسوف يقتصر حديثنا عن الثانى منهما لأننا نجهل تاريخ حياة الأول ولقد ولد هذا الفيلسوف (ديمقريطس) حوالى عام ٤٧٠ ق. م فى أبديرا بتراقيا وكان كثير السفر. طلبا للمعرفة يقول عن نفسه زرت أكثر البلاد وطفت الآفاق البعيدة وشاهدت أغلب الشعوب وتخاطبت مع معظم حكماء عصرى ولم يتفوق على أحد فى بيان الخطوط (الهندسة) حتى ولا المصريون.

ويقول عنه (زلر):

أنه يفوق كل من سبقه ومن عاصره من الفلاسفة فى اتساع علمه وهو يفضل معظم هؤلاء وأولئك فى حده تفكيره وسلامته المنطقية[١].

ومن المحقق أن هذا الفيلسوف كانت له علاقة بالفلاسفة برمنيدس وزينون وانكسفوارس وغيرهم وقد أثر هذا فى تكوين أفكاره وآرائه.

مذهبه:

كان ديمقريطس يعتقد أن كل شىء مكون من زرات، وأن الذرات لاتقبل الانقسام من الوجهة المادية وإن تكن قابله لهذا الانقسام من الوجهة الهندسية ويذهب إلى أن هناك فراغا يفصل بين بعض الذرات والبعض الآخر، وأن هذه الذرات يستحيل فناؤها، وأنها كانت منذ الأزل، وستظل إلى الأبد فى حركة دائمة، وأن هناك من هذه الذرات عددا لانهاية له. بل لانهاية لعدد أنواع الذرات التى يختلف بعضها عن بعض شكلا وحجما.

---

(١) ١١٢ تاريخ الفلسفة الغربية

ويقول أرسطو : أن الذريين يذكرون أيضا أن الذرات تختلف فى درجة الحرارة فأشدها حرارة هى الذرات الكرية التى يتألف منها النار[1].

ومع ذلك فإن هذه الذرات متحدة فى الحقيقة .

العالم مكون من ذرات :

هذه الذرات تتحرك من نفسها حركة ذاتية فى خلاء واسع لانهاية له فتتلاقى بنتوآتها ويتكون من هذا التلاقى الأجسام المحسوسة أو تتفرق وتتحلل فيحدث من ذلك فساد هذه الأشياء المحسوسة وتكوين غيرها من نفس هذه الذرات.

ويرجع ديمقريطس الاختلاف الحادث بين الأشياء إلى اختلاف الذرات فى الشكل والمقدار .

والنفوس عنده مكونة من ذرات أيضا سريعة الحركة كالتى تشاهد فى شعاع الشمس المنبثق من كوه إلى داخل غرفة مظلمة أما المعرفه فمصدرها الحواس لأن الأجسام يصدرعنها أثير يتغلغل فى أعضائنافيسبب إحساساتنا ويتسلط على المخ فيكون صور الاشياء وهذه الصور لاتدل على جواهر تلك الاشياء الظاهرة بل على التأثيرات المختلفة الناشئة عنها .

والآلهة كالناس تتركب من تلك الذرات إلا أنها منظمة بأحسن ترتيب ولهذا السبب تعمر طويلا أكثر مما يعيش الإنسان .

---

(١) ١١٣ من المصدر السابق .

ويهيمن فوق الكل ضرورة تحكم السماء والأرض والسعادة فى طاعتها طاعة عمياء وليست السعادة عنده مرهونة بالقصور المشيدة والضياع الفسيحة ، ولكنها متوقفة على الحالة النفسية وحدها فكلما إزدادت هدوءا وصفاء إزد المرء سعادة ونعيما والسبيل المؤدية إلى ذلك هى إعتدال الحاجات وبساطة العيش[1] .

---

(١) ص ٨١ قصة الفلسفة اليونانية .

النزعة السوفسطائية

لعل تيارا من التيارات الفلسفية لم يصادف من الاختلاف فى تقديره مثلما صادف تيار النزعة السوفسطائية خصوصا فى تفكيرهم الفلسفى العلمى .

فنجد أفلاطون قديما يحمل على السوفسطائية حملة عنيفة شعواء وعلى آرائهم فى السياسة والأخلاق خاصة .

وسار أرسطو على نهج أفلاطون ومحا كل ما للسوفسطائية عن مكانه فى تاريخ الفلسفة .

أما هيجل فى العصر الحديث فنراه قد ارتفع بالنزعة السوفسطائية ارتفاعا كبيرا فى كتابة (تاريخ الفلسفة) وجعلها لحظة أساسية من لحظات تطور الفلسفة عند اليونان .

وسار على هـــذا النهج جوزيه سشنا الذى وضع كتابا بعنوان (نزعة السوفسطائيين اليونانيين) عام ١٩٣٨ وقد عد هذا الرجل من أكـبر المدافعين عنها .

وفى رأينا أن النزعة السوفسطائية ــ مهما قيل فيها أو قيل عنها ـ قد ساعدت بصوره أو بأخرى على تطور التفكير البشرى ويكفى أنهم مؤسسو علم البلاغة كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين .

النشأة :

لقد انقلبت الحياة السياسية اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد رأسا على عقب وانتصرت الديمقراطية على الأرستقراطية وبدأت فى هذه الحياة الجديدة تنمو الروح الفردية وعلى هذا فالحال السياسية كانت تقتضى

أن توجد طبقة من الناس تعلم كل مواطن يريد أن يصل إلى قيادة لدولة كل ما يحقق له هذا الغرض فكانت النزعة السوفسطائية استجابة لهذه الحاجة الملحة التي شعر بها اليونانيون وكانت كذلك ثمرة للتنازع الكبير والصراع الخطير بين أفراد الشعب اليوناني حول الروح الفردية والنزعات العامة التي كانت موجودة عند كل المفكرين والفلاسفة اليونانيين الذين سبقوا السوفسطائيين [١] وقد طغت أنذاك موجة من الشك وعمد الناس إلى القديم يهدمونه بكل ما وسعهم من معاول فانهارت عقائد الدين وانحلت الأخـــلاق وتحطمت القوانين ونشبت الصراعات فكانت السوفسطائية هي المرآة التي انعكست على صفحتها صورة هذا التيار الجارف فمثلوا بفلسفتهم وتعاليمهم ما بدا من القوم في حياتهم العملية من ميول ونزعات [٢]

التسمية :

أن اسم السوفسطائيين مشتق في الأصل من كلمة يونانية هي (سوفيست) ومعناها الحكيم أو معلم أو أستاذ ولم يكن لهذه الكلمه معنى مرذول في أول أمرها فقد كان السوفسطائي يكسب عيشة بتعليم الشباب بعض الأشياء التي كان يظن أنها قد تنفعهم في حياتهم العملية ، ولما كانت الدولة لا تخصص من مالها شيئا لمثل هذا النوع من التعليم فقد كان السوفسطائي يأخذ أجره من مال المتعلم نفسه .

ولكن سرعان ما لحق هذا الإسم التحقير والإهانة عندها أخذ السوفسطائيون يجادلون ويغالطون لا للوصول إلى الحقيقة بل بقصد التمويه والتضليل على الناس وأخذ الأجر منهم تحقيقا للثراء العريض .

---

(١) ص ١٦٨ ربيع الفكر اليوناني .

(٢) ص ٩٧ قصه الفسلفة اليونانية أحمد أمين وآخر .

وجعلوا بذلك التعليم تجارة وحرفة يتكسب بها فصار اسم السوفسطائى تبعا لذلك معناه المضلل أو المبطل وعرفت كلمة سفسطه بالتنويه والتغليل .

ولقد كان هدف السوفسطائى تخريج طائفة من الشباب يحذقون الجدل وفن الخطابة ويقدرون على إثبات الشيء ونقيضه فى وقت واحد ويأتون بالحجج الخلابة والكلمات البراقة التى تستولى على مسامع الناس ومشاعرهم فى مختلف المسائل والمواقف[1] ومن أشهر مذاهبهم ، مذهب بروتاجوراس وجورجياس .

---

(١) ص ٤٥ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم .

بروتاجوراس

ولد بروتاجوراس حوالى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد فى أبديرا وهى التى وفد منها ديمقريطس وبعد أن تعلم الخطابة وتمرن على فنونها فى وطنه قصد أثينا حيث أخذ فى نشر كتاب أسماه الحقيقة أو فى الآلهة جاء فيه .

أما عن الآلهة فلست أرانى عن يقين من جودهم أو عدم وجودهم ، ولا من شكلهم كيف يكون ؟ ذلك لأن ثمة أشياء كثيره تعوق المعرفة اليقينية وهى غموض الموضوع وقصر الحياة البشرية[1] ومن هنا فقد اتهم بالألحاد وحكم عليه بالأعدام وأحرقت كتبه علنا ففر هاربا ومات غرقا فى أثناء فراره .

فلسفته :

أن المحور الذى دارت حوله فلسفة هذا الرجل بل فلسفة السوفسطائيين جميعا ماحكاه أرسطو فى مؤلفه .

(ما بعد الطبيعة) هو الإنسان مقياس كل شىء) أنه مقياس الأشياء جميعا ، مقياس مايوجـــد منها ومالا يوجد ولقد شرح أفلاطون هذه العبارة بقوله .

يتبين معناها بالجمع بين رأى هرقليطس فى التغير المتصل وقول ديمقريطس أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ويترتب على ذلك أن الأشياء هى

---

(١) ص ١٢٩ تاريخ الفلسفة الغربية وص ٤٦ تاريخ الفلسفة اليونانية وص ١٠٠ من قصة الفلسفة اليونانية .

بالنسبة على ما تظهر لى وهى بالنسبة إليك على ما تظهر لك وأنت إنسان وكل إنسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق

ولما كانت أحكام الناس تختلف فى الشىء الواحد . فما يراه هذا صوابا يراه الآخر خطأ ويشك آخر فى صحته وفى خطئه ، فكل واحد مخطىء ومصيب فى آن واحد لأن الحقيقة تابعة للشعور الخفى الذى نحس به ، وماصدق الشىء وكذبه إلا حسبما يستحضره الإنسان صدقا أو كذبا . وعلى ذلك فقد أنكر بروتاجوراس حقائق الأشياء فليس هناك حقيقة يتفق عليها الناس لأنه الحقيقة عنده أمر اعتبارى ، فكل شىء حق بالنسبة إلى الشخص واعتقاده الشخصى وأن رآه غيره من الناس باطلا .

ذلكم أن الإحساس عنده هو المصدر الوحيد للمعرفة ولما كان الأفراد يختلفون سنا وشعورا وتكوينا فهم تبعا لذلك يختلفون فى الإحساس أيضا .

أليس يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الآخر ويكون عنيفا على الواحد خفيفا على الآخر ، فماذا تقول فى هذا الهواء ؟ .

هل تقول أنه بارد أو تقول بالعكس من ذلك تماما بل أن إحساسى الشخص الواحد يختلف ويتعدد باعتبار وقتين ، وإذن فلا يمكن أن نصل — بالأحساس — إلى حقيقة عامة يتفق عليها الناس ، وتبعا لذلك لايوجد شىء واحد فى ذاته ولا يوجد شىء يمكن أن يوصف بالضبط فكل شىء فى تحول مستمر .

ويخلص بروتاجوراس من هذا كله إلى أن الحقيقة نسبية واعتبارية باعتبار كل شخص وليس هناك خطأ أو صواب أصلا .

ولقد طبق الرجل رأيه فى الأخلاق أيضا فأنكر أن يكون هناك قانون خارجى أخلاقى عام يخضع له الناس جميعا وإنما المسألة ترجع إلى إحساس الشخص نفسه ، فما تراه حقا فحق لك وما رأيت عمله فاعمله ويكون مشروعا ولا يوجد ركن خاص لتعريف العدل والظلم أو القداسة وما إلى ذلك .

جورجياس ٤٨٠ — ٤٧٥

ولد هذا السوفسطائى فى ليونتيوم من أعمال صقلية وأخذ العلم عن أنبادوقليس واشتغل بالطبيعيات مثله وعنى باللغة والبيان فكان أفصح أهل زمانه وأبلغهم قدم أثينا فاستولى على الباب أهلها ببلاغته ، ويصوره أفلاطون فى الحوار المعنون باسمه مفاخر بمقدرته على الإجابة عن أى سؤال يلقى عليه وقد عظم صيته وكثرت ثروته وجاءه الأجل المحتوم وهو فى سن المائة أو يزيد .

فلسفته :

لقد وضع هذا الرجل فلسفته فى كتاب كتبه عن الطبيعة أو اللاموجود قال فيه بقضايا ثلاث .

الأولى : أنه لاشىء .

الثانية : أنه حتى لو وجد شىء فإن هذا الشىء لا يمكن أن يدرك .

الثالثة : حتى لو أمكن إدراكه فإنه لا يمكن أن يعبر عنه ويوصل إلى الغير .

ويسوق جورجياس لتأييد هذه القضايا حججا كثيرة وهو فى هذا متأثر بالأيليين وخصوصا بطريقة زينون فى المحاجة .

فالنسبة للقضية الأولى التى تقرر : أنه لاشىء موجود فقد تابع فيها

الفلاسفة الإليين الذين أنكروا وجود الاشياء التى تقع تحت الحواس والذين أثبتوا أن صفة الوجود وحدها هى الموجودة ، أما كل هذه الاشياء التى تملأ جوانب الكون والتى تطرأ عليها الحركة والتغير فباطله خدعتنا بها الحواس .

وفى أبطاله المحسات كان يقول :

إذا كان هناك فى الوجود شىء فلابد أن تكون له بدايه ، وهو إما أن يكون قد نشأ من العــــدم ، أو من وجود سابق له فأما النشأة من العدم فمستحيلة لأن شيئا لايخرج من لاشىء ، — وأما تسلسله من وجود قبله فهذا ينبغى أن تكنو له بداية وإذن — فلاشىء موجود .

وأما القضية الثانية : متى تقرر أنه حتى لو فرضنا وجود شىء فلا يمكن معرفته ، فهى نتيجة لازمة لعقيدة السوفسطائيين فى اعتماد تحصيل المعرفة على الحواس وحدها دون العقل ومادامت إدراكات الحواس تختلف عند الأشخاص ، بل تختلف ، عند الشخص الواحد فى الظروف المختلفة فلا يمكن الجزم بحقيقه الشىء كما هو .

وأما القضية الثالثة : التى تقول : إذ أمكن معرفة شىء فلا يمكن إيصاله إلى الغير .

فإن ترتيب المعرفة على الحواس فى رأى — السوفسطائيين يؤيد هذه القضية ، ذلك أن مايصل عن طريق الحس لايمكن نقله إلى شخص آخر[1].

هذا هو مذهب السوفسطائيين فى إيجاز شديد فى الحقيقة وفى المعرفة ،

---

(١) ص ١٠٣ قصة الفلسفة اليونانية .

إنكار للوجود ذاته وجحود للعقل فى جوهر رسالته ، وتنكر لكل ماتعارفت عليه الإنسانية من قيم وماورثت من مبادىء .

ولقد طبقوا فلسفتهم هذه على الأخلاق والقانون وعلى السياسة فلم يبقوا ولم يذروا فكانوا معاول هدم لنظام الدولة والدين والأخلاق مما جر عليهم سخط الناس جميعا وجعلهم موضع سخرية من الفلاسفة الذين جاءوا من بعدهم .

ومع كل هذا فإنهم ملأوا الجو اليونانى بلون من الضجيج والصخب أحدث نوعا من الانتعاش والحركة إيجابا وسلبا بناء أو هدما وولدوا شعورا بالتنافس ورغبة ، فى السبق وطموحا أى طموح مما اعتبر ممهدا إلى حد بعيد لما جاء بعدهم من تقدم فكرى ونضوج — فلسفى ظهر على يد فلاسفة اليونان العظام سقراط وأفلاطون وأرسطو فمن الأمانة العلمية — إذن أن نقرر أن السوفسطائية . أسدت إلى الفكر الإنسانى وإلى الفلسفة النظرية جميلا لاينسى فى تطور ذلك الفكر أثرا بالغا كان بدء لضوء جديد مهما كان خافتا وضيلا فقد أنار الطريق لمن جاء بعدهم فى ذلك الاتجاه الجديد .

ذلك أنه بينما ظل التفكير الفلسفى على يد فلاسفة اليونان السابقين على السوفسطائيين محصورا فى دائرة الكون والعالم الطبيعى بل وفى أضيق دائرة من هذا العالم الطبيعى وهى دائرة نشأته وأصله الذى انحدر منه فإننا نجد السوفسطائيين يوجهون التفكير الفلسفى إلى الإنسان فقط وإلى ملكاته وما به من قوى وماله من مركز فى الوجود وما يسعى إليه من أهداف وغايات ، لحصر

السوفسطائيون موضوع الفلسفة فى الإنسان وحولوا تفكير الفلاسفة إليه وإن لم يذهبوا فى هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك ولم يحاولوا التعمق فيه إلا بقدر ضئيل . وما كان لبعضهم فى هذا من مجهودات قد أضاعه عليهم إنكارهم الصارم القاطع لحقائق الاشياء وعدم اعتدادهم فى المعرفة بغير المحسوس[١] .

---

(١) ص ٧٣ — ٧٤ الفلسفة اليونانية ، مقدمات ومذاهب د . محمد بيصار

تقويم آراء السوفسطائيين

لقد كان لآرائهم أثر كبير فى تبديل كثير من مواقف النـــاس ؛ فحل التسامح فى قبول الرأى ونقيضه محل الحقيقة الموضوعية المطلقة وحملوا راية التغيير فهبت رياح الأفكار فى تنافس شديد بل وفى تصادم وتصارع بين القديم بقيمه ومثله وتقاليده وعاداته وبين الجديد بآماله وأفكاره وتطلعاته .

وكانت لهم آراء وضعت البذور لتغيير شامل فى الأنظمة الإجتماعية فقد ذهب هيبياس إلى أن هذه الأنظمة تخالف قوانين الطبيعة إذ تفرض أوضاعا مضادة لسنن الطبيعة ؛ فالناس متساوون فى الطبيعـــة التى لم تخلق أحداً عبداً ، وإنما ذلك من تحكمات الناس وإلى مثل ذلك ذهب انطيفون فالناس سواسية لا فرق بين إغريقى وبربرى ولا بين نبيل وعبد .

وإذا كان أمثال هؤلاء قد انتقدوا الواقع ، فإن سوفسطائيين آخرين قد كشفوا النقاب عن هذا الواقع فى السياسة فذهب جورجياس وتلميذه كاليكاس إلى أن الحق هو القوة أو أن القوة هى الحق ، وأن القوانين تشريعات وضعتها أغلبية من الضعفاء للحيلوله دون تفوق الأقوياء ، وهذه القوانين وضعية وليست طبيعية لأن الطبيعة تقتضى سيادة القوى .

لقد نشأت صلة قوية ـ بفضـــل السوفسطائيين ـ بين الفلسفة وبين المجتمع إذ سخر هؤلاء الفلسفة للخدمة العامة ولم يروا فيها رأى الأولين من نظر مجرد فى الوجود ، فقد كان الفكر الفلسفى قبل ظهور السوفسطائيين متجهاً نحو العـــالم الخارجى مستغرقا فيه ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية قد حولت مسار الفكر إلى الإهتمام بالإنسان وكان السوفسطائيون هم رواد هذه الحركة ، ولقد اختلفوا عن الفلاسفة السابقين

فى الموضوع والمنهج والغاية ، فهم قد اتخذوا الإنسان وحضارته موضوعا لهم بينما شغل الفلاسفة السابقون بالوجود الخارجى وانتهجوا منهجا تأمليا جدلياً من أجل وضع مبادىء عامة لتفسير الوجود ، أما السوفسطائيون فقد شغلوا بجزئيات الحياة ومن ثم كان منهجهم واقعيا تجريبيا إن صح هذا التعبـــير .

وكان هدف الفلسفة نظرى إذ يتحرون البحث فى الحقيقـــة أما غاية السوفسطائيين فعملية إذ يلقنون تلاميذهم ما يعينهم على الحياة .

وإذا كان شيشرون قد وصف سقراط بأنه أنزل الفلسفة من السماء وأودعها المدن وأدخلها البيوت وجعلها ضرورية لكل بحث فى الحياة والآخلاق فإن هذا الوصف يصدق تماما على السوفسطائيين لأن سقراط يختلف معهم مذهبا ولكنه لا يختلف معهم فى موضوع الفلسفة : الإنسان والأخلاق والحياة [1] .

إننا لا ننكر أنه كان لآراء السوفسطائيين آثار سلبية حيث ألبسوا الحق ثوب الباطل وخلعوا على الباطل رداء الحق وانتشرت موجات من الشك عندما ترددت فى ربوع المجتمع عبارة بروتاغوارس : الإنسان مقياس الأشياء جميعا ، وأن الآلهة موجودون بالنسبة لمن يعتقد بذلك وغير موجودون بالنسبة لمن لا يعتقد ذلك ، وأنه لا يعرف عن حقيقة الآلهة شيئا لغموض الموضوع وقصرت الحياة وعندما دوت عبارة جورجاس ما من دليل إلا وينهض مقابله دليل ومع هذا كله فلا يستطيع أحـــد أن ينكر أنه كان لآراء السوفسطائيين آثار إيجابية كذلك فقد عبروا عن روح حضارتهم فى عصرهم

---

(١) أنظر ص ٨٦ وما بعدها بتصرف من الحضارة الإغريقية ج١ دكتور أحمد صبحى .

تماما كفلاسفة عصر التنوير فى القرن الثامن عشر . وأفكارهم ليست فلسفة حضارة فحسب بل إنها تعد حركة رائدة فى مجالات متعـــددة ، فهم - وبروتاغوارس على وجه الخصوص - أول من نبه إلى قيمة التربية وأهميتها فى إرشاد النشىء ، فلقد كان الأثينيون يعتقدون أن الأخلاق ميل طبيعى ولكن بروتاغوارس أكد إمكان ترويض النفس البشرية ونزع نزعات الشر كما يمكن للطبيب علاج أمراض الجسم وأن العقاب يقصد به الردع لا الانتقام .

كذلك يعد السوفسطائيون الرواد الأوئل فى علوم اللغة إذ لفتوا النظر إلى أهمية اللغة فى الجدل وضرورة تحرى دقة الألفاظ .

وإذا كان جورجياس قد جعل من الخطابة علما فإن بروديكوس قد جعل من المترادفات مبحثا له أهميته حتى أصبح مرجع المتحاورين فى دلالات الألفاظ وصحة استعمالاتها .

وقد حـــدد السوفسطائيون كذلك بعض موضوعات علوم السياسة والاجتماع والتاريخ وهل الدولة أو المجتمع نظام طبيعى تلقائى أم وضع تحكمى؟ بذلك حددوا المشاكل بصرف النظر عن تقييم ما قدموه من حلول[١] .

يكفى أن تقول إن هذه الحلول - مهما قيل عن سلبيتها - كانت الحافز وراء ظهور أكبر المدارس الفلسفية فى بلاد اليونان وأعنى بها المدرسة السقراطية الكبرى سقراط وتلامذته فإن كثيرا من نظرياتهم لاسيما فى الأخلاق والسياسة إنما جاءت ردودا على آراء السوفسطائيين .

---

(١) ص ٩٠ من الحضارة الإغريقية د. أحمد صبحى مؤسسة الثقافة الجامعية

سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق م)

كانت فلسفة سقراط الإنسانية — بحق — هي أول خطوه من خطوات التفكير الفلسفى المنهجى الصحيح عند اليونان كما كانت كذلك حجر أساس لما جاء بعدها من فلسفتى أفلاطون، وأرسطو، ولقد أجمع المؤرخون أو كادوا على أن سقراط فى تاريخ الفكر اليونانى بل والإنسانى كان من القوة بحيث أتيح لإسمه أن يشطر الفلسفة اليونانية، شطرين . ماقبله وما بعده .

ولقد كان سقراط صوره رجل من طراز خاص، رجل شديد الثقة بنفسه، يسمو بتفكيره عن السفاسف ولا يأبه للنجاح فى الدنيا، ويعتقد بأنه مهتد بصوت مقدس، ومؤمن بأن التفكير الواضح أهم ماتتطلبه الحياة الصحيحة وكانت تنتابه فى كثير من الأحيان موجات من الحماس والجذب الصوفى الحقيقى يحمل نفسه على الصعود به إلى مرتبه من السمو محرمة على غيره من عامة الناس قال الذين يعرفونه إن من عادته أن يقف فى أى مكان ويذهل عن نفسه بغير ماسبب وكان مما يثير الدهشة عند الناس جميعا عدم احتفاله بحرارة أو بروده بجوع أو ظمأ وكانت له سيطره عجيبة على شهوات جسده يقسو عليه ليروضه على طاعة العقل ولقد وجه عنايته للفلسفة ووقف حياته عليها لإيمانه بأن الفلسفة هى رسالته فى الحياه وكان يؤثر الحديث إلى الشباب ويهدف من ذلك إلى إصلاح ما أفسده السوفسطائيون من أمرهم ولكى يبصرهم بالحق والخير ليهيء لبلاده مستقبلا طيبا على أيديهم ومع هذا كله فقد كان فيلسوفنا متواضعا وكان يقول : لست حكيما وإنما أنا محب للحكمه بينما كان السوفسطائيون يدعون أنهم كانوا يغرسون المبادىء الهدامة فى نفوس الشباب، وكثيرا ما كان يردد هذا الرجل أنا أعرف شيئا واحدا وهو أنى لا أعرف شيئا) ولقد كان سقراط يؤمن بأنه يؤدى

رسالة فرضتها عليه الآلهة ، ولقد ذهب أحد مريديه (شريفون) حاجا إلى معبد رلفى فسأل الكاهنة : هل بين الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط فأجابت لا . . وعلم سقراط بهذا وآمن بأن الآلهة لاتكذب فأخذ يمتحن كل مايلقاه وكل من يدعى العلم والحكمة ليرى مدى صحة هذا الحكم الذى حكمت به الكاهنة عليه ووصفته به ولكنه تبين له جهلهم وأنهم لايعلمون من الحكمة شيئا وإنما الظن يملأ عقولهم ولذلك فقد خلص إلى أن مراد الآلهة أنه أحكم الناس وذلك لأنه يعترف بجهله وأما غيره فجاهل يدعى العلم ولقد لقيت فلسفة سقراط ماهى جديرة به من الإقبال والإجلال فالتف حولها شباب أثينا ومريدو الحكمة من أهلها وغيرهم ينهلون من مواردها العذبة الشهيه وأصبح سقراط علما مرموقا جديرا بالاحترام حينما نازل السوفسطائيين وأفحمهم وهدم نظريتهم القائلة لاحقيقة لشىء من الأشياء تجمع عليها العقول فأثبت سقراط على رغم السوفسطائيين أن حقائق الأشياء ثابتة وأن المعارف الإنسانية مبنية على أساس محكم موثوق به .

ولقد أحنق سلوك سقراط بعض الأثينيين نوشوا به إلى الحاكمين يتهمه أنه ينكر الآلهة ويقول بإله واحد وأنه يفسد بتعاليمه شباب أثينا ولقد حكم عليه بالموت ولما أودع السجن أراد بعض تلاميذه أن ينقذوه من براثن الموت فحسنوا له الهرب وبذلوا مساعيهم فى ذلك ولكنه أجابهم فى كبرياء الحكماء بأن ليس من الأخلاق أن يفر من قوانين أثينا التى طالما حمته من أعدائه وأعداء وطنه .

منهج سقراط فى البحث :

كان بحث هذا الفيلسوف يقوم على التهكم والتوليد فالتهكم أو السؤال مع تصنع الجهل هو أن يقول سقراط لمن يدعى العلم . أنا لا أعلم عن هذا الموضوع شيئا وأريد أن أعرفه منك ثم يبدأ فى أسئلة وهى مرتبة ترتيبا

منطقيا حتى يظهر له تناقضه فى قوله وجهله بالموضوع وغرضه من هذا تخليص النفوس من العلم السوفسطائى الزائف وتهيئتها لقبول الحق وذلك على منوال ماعرف بأن (التخلية قبل التحلية) .

أما التولد : فيبنى على استنباط الحقيقة عن طريق توجيه الأسئلة فى نسق منطقى وترتيب فكرى فيستخرجونها من نفوسهم وماطبعت عليه من معان فطرية وتصل إلى الحقيقة بذلك يعتقد أن النفوس قديمة وأنها نسيت ماعلمته عند اختلاطها بالمادة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن سقراط هو أول من استخدم الطريقة الحوارية أو طريقة التهكم والتوليد ، فبواسطة التهكم يتمكن سقراط من أن يزعزع مافى نفس صاحبه من اليقين الذى يعتقده والذى لاأساس له ، وفى هذه الطريقة كان سقراط يدور حول المباحث الفلسفية فى هوادة وتأن إلى أن يجد مسلكا ينفذ منه إلى نتيجة يريدها ، فكان هذا الفيلسوف يجول فى أنحاء أثينا وفى طرقاتها مدعيا الجهل وأن شعوره بجهله يدفعه إلى أن يلتمس المعرفة من أهلها فلم يضع سقراط فى فلسفته هذه مسألة معينة يتناولها بالبحث والتحليل وإنما كانت المشكلة التى يريد بحثها تأتى عرضا ثم ينتهز الفرصة ويتحدث فى المشكلة مع صاحبه فيحاور ويناقش ويسأل حتى يتبين لصاحبه خطؤه وما يزال سقراط فى حواره هذا حتى ينتهى إلى حقيقة ثابتة لاتحتمل الشك ولا النقد ولا الجدال ومن ثم يصل مع صاحبه إلى مرحلة توليد الأفكار وبعد أن يبين لصاحبه مقدار عجزه عن كشف الحقيقة يأخذ فى إلقاء أسئلة أخرى حتى تنكشف بواسطتها الحقيقة النهائية ومن هذه الطريقة نرى أن سقراط كان يولد الأفكار وهذا ما دفعه إلى القول « بأنه كان يولد الأفكار من محاوريه كما كانت أمه تولد الجنين من الحوامل » .

والمتأمل فى الطريقة السقراطية يجد أن المحاور يمر بثلاث مراحل متتابعة :

أولا : مرحلة اليقين الذى لاأساس له من الصحة ، وهى مرحلة يراد بها إظهار جهل الخصم وغروره وإدعائه العلم وقبوله لما يلقى عليه من غير أن يحتكم إلى المنطق السليم أو الفكر المستقيم

ثانيا : مرحلة الشك وفيها تتوالى أسئلة سقراط والإجابة عنها حتى يتردى المتكلم ويقع فى حيره لا مخلص منها ويبدو التناقض فى عباراته فيأخذه الغضب ويعتبر سقراط ثقيل الظل أشأم الطلعة ، ولكن شيخ الفلاسفة كان يقابل كل كلام من هذا النوع بالصبر الجميل والإبتسامة الهادئة ، ويقود صاحبه إلى صميم الموضوع الذى يدور حوله الجدل ولا يزال آخذا بزمامه حتى يتملكه الخجل ويشعر أنه تعرض لشىء لاعلم له به ولا مجال له فيه ، ويوقن بأنه جاهل مغرور وتشتد رغبته فى طلب العلم ومعرفة الحقيقة وحينئذ تبدأ المرحلة الأخيرة

ثالثا : مرحلة اليقين بعد الشك ، وفى هذه المرحلة يقصد فيها البحث من جديد فى الموضوع ومعرفة الأمثلة التى توضح الحقيقه وتميزها عن غيرها وملاحظة ما بينها من أوجه الشبه وأوجه الخلاف والوصول إلى تعريف منطقى جامع لايجد الشك إليه سبيلا ، إنها مرحلة تقوم على أساس الإدراك العقلى لاعلى أساس التصديق الساذج .

هذا وقد علق « سيرجون أدمز » الإنجليزى على الطريقة السقراطية بمثال تطبيقى يشير إليه على سبيل الإيضاح إذ قال :

هب أن سقراط استطاع الرجوع إلى الحياة واستطاع التكلم باللغة

الإنجليزية ثم أخذ كعادته يغشى الأماكن العامة ، فصادفه طالب من طلاب العلم يتربض فى إحدى المتنزهات العامة وعليه دلائل الزهو والغرور بمعلوماته ومعارفه .

لايتردد سقراط — عندئذ — فى أن يتقدم إلى هذا الطالب فيتلطف له فى الحديث ويوجه نظره إلى جمال المنظر وما يرى بين أشجاره وأزهاره من طيور وحشرات حتى إذا أنس صاحبه به فاجأه بسؤال لاتظهر فيه أمارات التعمد فقال : ما الذى يراد بالحشرة ياصاحبي ؟ فطالما سمعت الناس يذكرون الحشرات ويتكلمون عنها وطالما تاقت نفسى إلى معرفتها معرفة صحيحة ، فيرد عليه هذا الطالب بأن الحشرة حيوان صغير له أجنحة .

فيقول سقراط : لابد أن الدجاجة حشرة . . . وما يزال بالطالب حتى تظهر له معايبة فيتدارك خطأه ، ويحاول أن يجيب إجابة أخرى يظن أنها خالية من النقص ، ولكن سرعان ما يظهر له سقراط خطأه فيرى الطالب قصوره ولا يجد بدا من الاعتراف بجهله ، وأنه لايعرف الموضوع معرفة صحيحة كما كان يخيل إليه بادىء الأمر .

وحينئذ يلقى عليه سقراط أسئلة سديدة تستميله إلى البحث من جديد ويبين له طرق التفكير حتى يصل بنفسه إلى الحقيقة[1] .

---

(١) ص ٢٥٠ — ٢٥١ من كتاب التربية للدكتور عبد العزيز عبد المجيد وآخر ج ١ دار المعارف الطبعة الثانية عشرة .

فلسفة سقراط :

أن فلسفة هذا الرجل تكاد تدور حول نظريتين هما : ـ

نظرية المعرفة   نظرية الفضيلة

نظرية المعرفة :

لعلكم تذكرون أن السوفسطائيين جعلوا الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة وقالوا تبعا لذلك أن الشخص هو مقياس الحقيقة لأن المعارف نسبية ولكن سقراط رفض ماذهب إليه السوفسطائيون ورأى أن لكل شيء طبيعة وماهيه هي حقيقته يكشفها العقل وراء المحسات الجزئية ويعبر عن هذه الماهية بالحد ورأى أن غاية العلم هو إدراك هذه المعانى الكلية المشتركة .

وقد استعان سقراط على كشف هذه المهايا الكلية بالاستقراء وتتبع الأفراد للوصول إلى المعنى الكلى العام وكان بذلك أول من طلب الحد الكلى والماهية الكلية ونوصل إلى ذلك بالاستقراء .

وكان جل همه تحديد الألفاظ التى يدور حولها الحديث بخلاف السوفسطائيين الذين كانوا يعولون على الألفاظ المشتركة إذ أنها تعينهم على التمويه والتضليل .

والاستقراء السقراطى هو عبارة عن تتبع الجزئيات إلى الماهية الكلية والحقيقة العامة وذلك يكون بتجريد الصفات الذاتية المشتركة بين الأفراد من الصفات العرضية الزائلة . وفصل الأمور الذاتية عن العرضية ، وذلك لايكون إلا بطريق العقل المشترك بين الأفراد فطريق المعرفة عند سقراط

هو طريق العقل بين الأفراد لا الحس ولذلك فإن أحكام العقل صحيحة يتفق عليها الناس جميعا لأنهم يرون الحقائق بمنظار واحد وهو العقل الذى لا يختلف فى حقيقته عند جميع الأفراد[1] ومع ذلك فإن سقراط لم يهمل الحواس نهائيا بل جعلها وسيلة تساعد العقل فى إتمام مهمته والعقل كفيل بمعرفة خطأ هذه الحواس لو أخطأت .

وجدير بالذكر أن سقراط كان يهدف من وراء نظريته فى المعرفة أن تكون وسيلة لمقصده الأسمى وهو الأخلاق العملية ذلكم أن سقراط كان يرى أن العلم الحقيقى هو معرفة النفس الإنسانية ولذلك كان شعاره (اعرف نفسك بنفسك) وهذا هو سر بحثه فى الإنسان واهتمامه به بينما لم يبحث طويلا فى الطبيعيات والرياضيات لما شاهده من اختلاف المفكرين قبله وعدم وصولهم إلى غاية معينة من أبحاثهم .

الأخلاق عند سقراط :

لقد قدس سقراط المعرفة حتى قال أن الخير هو الفضيلة والفضيلة هى المعرفة وكأنه جعل المعرفة مقياس الخير (فمن عرف كان خيرا ومن جهل كان شريرا ولقد نقد هذا الرأى بعض الفلاسفة حتى لقد جرحه أرسطو فقال مامعناه لقد نسى سقراط أو جهل أن الإنسان ليس عقلا خالصا بل هو مركب من العقل والعاطفة والشهوات فربما أتى بالشر خضوعا لتلك الغرائز والشهوات وهو عالم بأنه شر وربما ترك الخير كذلك وهو عالم بأنه خير

---

[1]) ص ١٠٠ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

ولكن مما لاشك فيه أن نظرية سقراط فيها من الحقيقة شيء كثير وأن أرسطو قد نسى أو جهل أن سقراط إنما يريد المعرفة الكاملة التى متى وصل الإنسان إلى درجتها علا على حكم الغرائز والشهوات ولم تنخدع بصيرته بما فى الشر من جاذبية خداعه[1] .

ولقد آمن سقراط إذن بأنه يكفى لعمل الفضيلة معرفتها فالفضيلة عنده هى العلم والرزيلة هى الجهل ولا يمكن لإنسان أن يعرف الخير ثم يتركه أو يعرف الشر ثم يفعله وهذا باختصار رأيه فى نظرية الفضيلة .

مذهب سقراط فيما بعد الطبيعة :

كان سقراط يعتقد بوجود إله واحد أزلى مالىء الكون وهو فى العالم كوجود النفس البشرية فى الجسم .

ووجود الله ثابت بدليل أن لكل معلول علة فلكل فعل فاعل ولكل فاعل غاية .

والسبب الذى خلق الإنسان هو سبب عاقل وكل شىء فى العالم خلق على أحسن تقويم فهو من عمل قوة مدركة تمام الإدراك وكاملة العقل .

---

(١) ص ١٤ فلسفة الأخلاق الأستاذ / أبو بكر ذكرى .

وتوجـــد عناية تنظم الكون طبقا لشرع العقل وذلك بإخضاع الخاص للعام ويتعاون الأجزاء فى العمل الصالح المجموع والنفس هى جزء من ذلك العقل الكامل كما أن الجسم جزء من المـــادة وتلك النفس خالدة :

وبعد فإن فضل سقراط على الفكر البشرى عظيم لأنه وضع حدا لشذوذ الفلاسفة الطبيعيين والمغالطين وجعل للفلسفة غرضا ساميا وغاية عظمى وهى إصلاح السلوك للأفراد والجماعة .

أفلاطون

٤٢٧ — ٣٤٧ ق م

ان أفلاطون هو أنبغ نوابغ الفكر وأول الفلاسفة وأشهر الحكماء وهو أول من أنشأ المدارس الفلسفية العظيمة فكانت الأكاديمية إحدى مدارس أربعة أثرت أعظم الأثر فى الحضارة القديمة . وهذه المدارس الأربعة هى الأكاديمية والمشائية والرواقية والأبيقورية وقد ظلت مدرسته قائمه فى أثينا حيث أنشأها تسعة قرون حتى أغلق الأمبراطور جستنيان أبوابها وطرد فلاسفتها ، ثم استمرت الأفلاطونية مؤثرة فى الفكر حتى الوقت الحاضر .

وقد قيل أن الفلسفة نبتت على يديه واكتملت فى حياته . وما سائر الكتب بعد ذلك إلا شروح على مؤلفاته وهوامش فى أسفل صفحاته [١] .

وقد ولد هذا الفيلسوف الكبير فى شهر مايو سنة ٤٢٧ قبل الميلاد وعاش حتى بلغ الثمانين وكان مولده فى جزيره تسمى إيجينا لاتبعد كثيرا عن أثينا وهو من عائلة وجيهة فأبوه أرسطون ينحدر من صلب قودرس آخر ملوك أثينا القدماء وأمه من نسل صولون الحكيم .

تتلمذ على يد سقراط وكان مخلصا له أثيرا عنده ودام على مودته أعواما طويله ، وكان من النجابه على شىء كبير حتى قال فيه سقراط (كم من أشياء حملنى هذا الفتى على الخوض فيها ولم تكن قد خطرت لى من قبل ببال) .

ولقد تلقى أفلاطون تعاليم سقراط زهاء عشرة أعوام وصحبه حتى الموت

---

(١) ص ٧ أفلاطون دكتور أحمد فؤاد الأهوانى دار المعارف بمصر طبعة ثالثة .

ونقل تعاليمه إلى الأجيال بما لم يتيسر لغيره من مقدرة وكفاية وإخلاص. ولم يشهد التاريخ فيلسوفاً قبل أفلاطون أنشأ فلسفة جامعة لنواحى الفكر المنظم الدقيق.

وقد أسس أفلاطون الأكاديمية بجانب بستان البطل أكاديموس بالقرب من أثينا وكان يلقى على الطلبة تعاليمه ثم فى محاورات واستمر فى ذلك عشرين عاما إلى أن ذهب إلى صقليا ولكن سرعان ماعاد إلى طلبته وأكاديميته يواصل فيها الدرس والبحث والفكر يقول عنه شيشرون الخطيب الرومانى: أن يمينه لم تترك القلم وفكره لم ينفك عن التأليف حتى آخر نسمة من حياته) ومما لاشك فيه أن نبوغ أفلاطون يعود إلى الأثر العظيم الذى خلفه فيه أستاذه سقراط ودليل ذلك قول أفلاطون نفسه [شكر الله لأنه خلقنى يونانيا لا بربريا ، حرا لاعبدا ، رجلا لا امرأة ، وشكرا له لأنه خلقنى فى عهد سقراط][1].

مؤلفاته :

كتب هذا الفيلسوف مؤلفاته على شبه محاورات على لسان شخص معلوم وبعض تلك المحاورات يتضمن تعاليم سقراط والبعض يتضمن مذهبه الخاص.

وقد كتب فى شتى المعارف ومختلف العلوم ، كتب فى الأخلاق السياسية وفى خلود النفس وفى المنطق وكتب فى أصل العالم وفى أصل الإنسان وفى الحب واللغة وفى الشجاعة والصداقة وما إلى ذلك وله كتب كثيرة ومن أشهرها الجمهورية والقوانين وهو آخر كتبه تأليفا.

---

(١) ص ٢٤ الفلسفة العربية عبر التاريخ

الصفة العامة لفلسفته :

تمتاز فلسفة أفلاطون بأنها مجهود شديد للتوفيق بين آراء الفلاسفة المتقدمين وعلى الخصوص الأيونيين والأليائيين والفيثاغورسيين وقد جعل منها مذهبا مؤسسا على طريقة سقراط المنطقية ومذهبه الخلق .

منهجه فى البحث والتأليف :

لقد سلك أفلاطون مسلكا خاصا فى التأليف ونهج منهجا جديدا فيه فمؤلفاته عبارة عن محاورات تشبه إلى حد كبير القصص التمثيلية ذلكم أن أفلاطون كان يعين فيها المكان والزمان والأشخاص الذين يدور الحوار حولهم ، أنه يسأل ويجيب ثم يناقش على ألسنة هؤلاء الأشخاص مناقشة علمية ، الغرض منها الوصول إلى الحق ، فهو فى حواره وجدله يطلب الحقيقة العلمية فيما يتعرض له من موضوعات ومسائل ولم يكن يخطر بباله أن يكون جدله ونقاشه من أجل شهوة أو شهرة كما يفعل ذلك السوفسطائيون من قبل .

فلسفته :

نظرية أفلاطون فى المعرفة :

لعلكم تذكرون موقف السوفسطائيين من المعرفة وجعلهم الحس هو الطريق الوحيد لها ، كما تذكرون كذلك ماقام به سقراط من توجيه سهام النقد لمذهب السوفسطائيين الحسى فى المعرفة وانتصاره للعقل ومعانيه الكلية الثابتة .

ولقد رأى أفلاطون أن الشوط الذى قطعه أستاذه سقراط فى هذا

كان بمثابة وضع أقدامنا على مبدأ الطريق وعلى من جاء بعده أن يواصل السير إلى آخر الشوط فى هذا الطريق .

لهذا فقد وضع أفلاطون نظريته الجديدة فى المعرفة وهو أول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها وأفاض فيها من جميع جهاتها ولقد وجد نفسه بين رأى يرد المعرفة إلى الإحساس ورأى آخر يضع المعرفة الحقة فى العقل ويجعل موضوعها الماهية المحددة الضرورية ولقد استقصى أفلاطون أنواع المعرفة فكانت أربعة (١) .

١ — المعرفة الحسية وموضوعها عوارض الأجسام .

٢ — المعرفة الظنية وموضوعها الأحكام المتعلقة بالمحسوسات من جهة ماهى محسوسة .

٣ — المعرفه الاستدلالية وموضوعها الماهيات الرياضية المتحققة .

٤ — المعرفة العقلية وموضوعها الماهيات المجردة من كل مادة .

وهذه الأربعة مترتبة بعضها فوق بعض تتأوى النفس من الواحد إلى الذى يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عند الأخير .

ولكى يبين لنا أفلاطون كيف يتم ذلك للنفس .

يرى أننا إذا تأملنا أنفسنا لوجدنا فيها قوة تغاير الحواس ووظيفتها إدراك الموضوعات المختلفة للحواس وفى مقدورها أن تركب بعضها مع

---

(١) ص ٦٩ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم .

بعض فى ظاهر الحس وفى وقت واحد ويبرهن أفلاطون على حقيقة هذه القوة بما يلى :

أولا : أنه لايكفى لفهم مدلول أى لفظ لغوى أن نسمعه بأذاننا وإنما يتخذ الحس فقط كطريق لتنبيه القوة المدركة فى النفس لولاها مافهم معنى هذا اللفظ .

ثانيا : أن العالم والجاهل يشتركان فى الإحساس بشىء ما ومع ذلك فالعالم يخبر عن المستقبل ويؤيد الواقع صدق أخباره ، وما ذاك إلا لأن هناك قوة تعلم وقوانين لاتتغير كما تتغير المحسوسات ويصل أفلاطون من هذا إلا أن المعرفة ليست هى الإحساس وإنما هى حكم القوة المدركة فى النفس على الإحساس وهذا هو مناط الفرق بين الإنسان والحيوان[1] .

المعرفة الظنيه : لايمكن أن يطمئن الإنسان إلى معرفة تأتى عن طريق الظن ، فإن هذا الظن لايعدو أن يكون قلقا فى النفس يدفعها إلى طلب العلم والمعرفة التى تأتى عن هذا الطريق قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ومن المعروف أن الظن مبنى على التخمين أما العلم فبنى على البرهان .

والمرحله الثالثة : التى تنتقل النفس إليها إنما تكون فى الرياضيات والفلك والموسيق مثلا ، والفكر فى هذه المرحلة لايحتاج إلى صور الأشياء المحسوسة لتعينة على تأمل هذه المعانى خالصة واتكون واسطة لتنبيه المعانى الكلية المقابلة لها التى هى فى الحقيقة موضوع الفكر الإنسانى لهذا يرى أفلاطون أن المعانى الكلية الرياضية لايأتى العلم اليقين عن

---

(١) ص ٩٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

طريقها حيث لايمكن البرهنة عليها ولذلك فهى من حيث الرتبة كانت معرفة وسطى بين غموض الظن ووضوح العلم أنها أرقى من الظن لأنها كلية وتعلمها ضرورى لكل إنسان وهى أرقى من العلم لأنها استدلالية .

ويمضى الفكر إلى المرحلة الرابعة والأخيرة من المعرفة وهى المعرفة المبينة على التعقل المحض والتى هى موضوع العلم وغايته .

نظرية المثـــل

لقد بنى أفلاطون نظريته فى المثل على رأى سقراط فى المعرفة فقال : إن الإدراكات الكلية التى يصل إليها العقل كما أثبتها سقراط فى محاورته للسوفسطائيين هى حق لاريب فيه غير أن سقراط لم يبين لنا ما إذا كانت هذه الكليات العقلية لها وجود خارجي أو أن وجودها ذهنى فقط . أما أنا فأقول أن هذه الإدراكات العقلية لها وجود خارجى ولها أسماء لها مسمياتها فى الخارج فكل من المعنى الكلى لإنسان وماء وفرس مثلا لكل منها مثال له وجود خارجى غير وجودها الذهنى وغير أفرادها التى توجد محسوسة أمامنا فى الخارج (ما صدقاتها) .

وهذا المثال الخارجى أكمل من أفراده الموجودة فى الخارج تحت دائرة الحس ولكل شىء كلى فى العالم مثال حتى الجمال له مثال فى الخارج وحتى الألوان والطعوم ، وكل مجموعة من المثل لنوع واحد تتدرج تحت مثال عام لها جميعا وأسمى منها فالبياض مثال وللسواد مثال وكلها تتدرج تحت مثال اللون وهكذا وفوق هاتيك المثل جمعاء يوجد المثل الأعلى وهو الخير المطلق ونظرية المثل هى المحور الذى تدور عليه رحى الفلسفة الأفلاطونية وإليكم هذه النظرية . التى أوردها أفلاطون فى الجزء السابع من كتابه الجمهورية حيث قال :

تصور يا عزيزى جلوكون حالة الطبيعة البشرية بالنسبة للمعرفة والجهل كما سأرمزه لك بكهف عميق يدخل النور إليه من فتحه مستطيله بطول ذلك الكهف وتمثل أناسا مقيدين فيه منذ الطفولة بكيفيه لا يستطيعون معها التحرك أو الإلتفات إلى الوراء ، بل يبصرون فقط ما يكون أمامهم . ووراءهم نار متقده فالأشياء التى تمر وراء أولئك الأسرى تقع ظلالها أمامهم

فيظنونها حقائق وهى ليست كذلك فإذا حل قيد أحد الأسرى وأجبر على الإلتفات خلفه ، ألا يخطف بصره تلك النار فلا يميز فى بدء أمره الأشياء التى لم ير إلا ظلالها ، فماذا يكون جوابه فى تلك البرهة لمن يقول له أن ما رآه سابقا ليس إلا ظلا للشيء الحقيقى الذى يراه الآن .

وإذا اقتيد خارج الكهف إلى الفضاء حيث يستطيع نور الشمس وحيث تمر أمامه حقائق الأشياء وليس أشباحها ألا يقتضى له زمن طويل ليميز بين الحقيقة والخيال ويدرك كنه الشيء ويعلم أن النور يعكس الظلال .

هكذا حال الإنسان من يوم ولادته يتدرج فى الرقى العقلى وكذلك المثال ليس مجرد إدراك عقلى بل هو حقيقة واقعية مطلقة ومستقلة عن الأشياء المتمثلة لنا وهو الصورة التى تحتذى الأشياء أشكالها منها ويتصورها العقل كذلك .

فالدائرة مثلا توجد بذاتها قبل أن نرسم فى الحيز وقبل أن يضع المهندس لها تعريفا أو حدا ، كذلك حال كل الطبائع الحسية والكائنات الحية والصفات والعلاقات الأدبية فلكل منها مثال مشخص فى العالم العقلى سابقا لما هو مشخص فى العالم المادى .

وعلى رأى أفلاطون أن المثل مبدأ المعرفة والوجود ولها صفتان جوهريتان :

الأولى : أنها شاملة لكل الموجودات التى من جنس واحد .

الثانية : جوهرية أى موجودة بذاتها وهى أتم وأكمل من الموجودات المتشكلة على شاكلتها .

بيد أن تلك المثل ليست أجنبية عن بعضها البعض إنما هى منظمة بحسب درجة كمالها وفى أولها مثال الخير .

الجانب الإلهى فى فلسفة أفلاطون

أن الله عند أفلاطون هو مثال الخير وهو حى حقيقى مدرك وله مظاهر ثلاثة :

أولا : هو الخير أو الواحد مصدر الصلاح والحقيقة وغاية كل شىء .

ثانيا : هو العقل الأسمى (لوجوس) مركز المثل حيث تبقى فيه إلى الأبد فهو العالم المثالى ، وما العالم الحسى إلا صورة غير كاملة له .

ثالثا : الله روح هذا العالم ، هو الفاعل صانع المادة ومحركها طبقا لنماذج المثل .

وقد أثبت وجوده بدليل المحرك الأول والعلل الغائية أو بعبارة أخرى دليل الحركة ودليل النظام .

فإن ما يبدو فى هذا العالم على وجه إجمالى وفى جزئياته المختلفة على وجه تفصيلى يستحيل أن يصدر اتفاقا وبدون علة عاقلة مدبرة تتوخى خيره وترتب له من الأسباب ما يكفل هذا الخير عن قصد وفكر وإرادة .

المادة :

أما المادة فهى أيضا — عند أفلاطون — أزلية الوجود ، كان كل شىء فيها منذ البدء مختلطا مضطربا ، وقد أراد صلاح الله إن كل شىء يكون على شبهه بقدر الإمكان ، فكون العالم طبقا للمثل التى اختلطت على نوع ما بالمادة العديمة الشكل ، ولكن لما كانت هذه المادة غير كاملة فقد بقيت فيها آثار نقص العالم المادى وميول الخلائق الخيره والشريره

فالله إذن هو الخير والعقل والروح ، خالق العالم بصلاحه لأن من كان صالحا لا يعمل إلا صالحا ثم نظمه بعنايته بحسب القوانين العامة للوجود .

ولكن توجد نقطة غامضة فى فلسفة أفلاطون فى هذا المجال وهى كيف خلق الله العالم ، فإذا ما كانت المثل هى دون غيرها الواقع ، فما حقيقة الأشياء المحسوسة ؟

قال أفلاطون فى كتابه تيماسى ، يوجد عنصر أزلى ملازم لله وهذا العنصر هو المادة . والكون نشأ من مشاركة المادة للمثل بنوع الانكسار كما تتولد الألوان من انكسار الضوء .

مذهب أفلاطون فى النفس

يرى أفلاطون أن النفس البشرية قوة تتحرك بذاتها قد اتحدت بالله قبل أن تظهر فى العالم الحسى ثم تسفلت بحلولها فى المادة وصارت على شكل جسم ناسيه وجودها السابق لكى تكفر عن آثام ارتكبتها فى حياة ماضية وهى واحدة أبدية لا تتغير . وللنفس ـ عنده ـ ثلاث قوى :

١ ـ النفس العاقلة ومقرها الرأس .

٢ ـ النفس الغضبية ومركزها القلب .

٣ ـ النفس الشهوانية ومقرها البطن .[1]

فالقوة الأخيرة تنشأ فى النفس من اتحادها بالجسم وهى أساس الرأى أى المعرفة التبعية للأشياء الحسية وأساس المحبة الأرضية التى تربط النفس بالمتاع الدنيوى الظاهرى ، أما العقل فهو مبدأ المعرفة والمحبة الحقيقية ويكون مستكناً فى النفس ثم يستيقظ ويتنبه تدريجيا حتى يتمالك ذاته ، والنظر إلى ما تتضمنه الأشياء المحسوسة من الحقيقة والكمال تبعث فيه الشوق إلى تذكر المثل التى شاهدها سابقا فالمعرفة تذكر .

أما الشجاعة فتوجد بين العقل والإحساس وتتأثر بأفعالهما غير أن العقل يطلب الإحساس ويستميل القوة المذكورة إليه ، ويمكن تشبيه الشجاعة بالقوة الإرادية لو كانت حرة ، بيد أن أفلاطون يذهب كسقراط

---

(١) هذه القوى نفسها يستخرج أفلاطون منها تقسيم المجتمع المثالى كما صوره فى جمهوريته .

مذهب (الجبر العقلى) فالإنسان يعمل بالضرورة كما يفكر وكل غلط خطأ) ولا يخطىء الإنسان إلا لجهله فليس هو شرير بطبعه .

خلود النفس : يرى أفلاطون أن النفس لا تموت لأنها خالدة كالمثل ذاتها لأن الحياة يليها الموت وبعد الموت لابد أن تكون هناك حياة فالأضداد تتعاقب ، والنفس عند كل إنسان تطمح إلى ما هو أرفع من العالم الأرض ، فلابد أن يكون هناك ما هو أسمى من الوجود الحسى أى عالم المثل الخالد ، وبما أن النفس تطمح إلى الخلود فلاشك هى خالدة .

لاشىء من لاشىء وبما أن النفس تفكر فى خلود عالم المثل فلابد أن تكون النفس قد ولدت فى عالم المثل الخالد وعادت فهبطت فخلود النفس ثابت لأن الإنسان يدرك الحقيقة بنفسه التى تتذكر ، فالمعرفة بالنسبة إلى إلى أفلاطون تذكرية وليست اكتسابا ، ثم ما يثبت خلود النفس أيضا هو أنها بسيطة فى تركيبها والبسيط خالد لا يفسد ككل ما فى عالم المثل وأنها تشتاق إلى السعادة والسعادة لا تتحقق فى عالم الحسى فلابد أن تكتمل أو تنال فى حياة أخرى ولأن النفس تتحرك بذاتية لأنها إلهية فلاتفسد خلاصة القول أن أدلة خلود النفس عند أفلاطون هى :

١ — تعاقب الأضداد يثبت بأن بعد الموت حياة لأنها الحياة تليها موت .

٢ — النفس تدرك المثل بما يثبت أنها كانت فوق وتعرف أن هناك ما هو أسمى من عالم الحسى وبالتالى فهى خالده .

٣ — المعرفة تذكرية فالنفس إذن تتذكر المرحلة التى كانت فيها فى السماء وهذا دليل على وجود النفس قبل اتصالها بالبدن .

٤ — النفس مبدأ بسيط والبسيط لايفسد ، أما المركب فهو القابل للفساد .

٥ — يتوقف الإنسان إلى السعاده وهى لا تتحقق فى عالم الحس بل فى عالم المثل الخالد .

٦ — عالم الحسى لا يعاقب الشرير ولا يكافىء الخير ، فلابد أن يكون هناك عالم آخر يقوم بهذا الدور .

٧ — النفس متحركة أزلية وإلهية إذن فهى خالدة . وأدلة روحانية النفس هذه جعلت أفلاطون يؤمن بالتناسخ ويقول إن النفس تعود أكثر من مرة فى أكثر من جسد حتى تحكم القوة العقليـــة بالشهوة والغضب ، فيستحق الإنســان الذى تبقى منه النفس أن تعود نفسه إلى عالم المثل الخالد .

إن مهمة النفس فى العالم الأرضى أن تتخلص من المادة وذلك إن لم يتم لها بحياة أرضية واحدة تعود أكثر من مرة فى أكثر من بدن ، وتتفاوت مستوى حياتها بحسب مستوى خلاصها من المادة ، حتى إذا ما أصبحت بريئة خلدت فى عالم المثل ، أما إذا أثبتت تأصلها بالشر فتخـــلد فى جحيم لا خلاص منه (١) .

مذهبه الخلقى :

اتفق أفلاطون مع سقراط فى مزج الفضيلة بالمعرفة وتوحيدها بيد أن الفضيلة تكون فى معرفة الخير أى فى التشبه بالله ، ولما كان الله هو الوحدة المنظمة والمرتبة لجواهر الأشياء ، فالتشبه به هو تنظيم قوى النفس المختلفة وترقيتها إلى ذروه الكمال .

---

(١) ص ٢٨ – ٢٩ الفلسفة العربية عبر التاريخ ، وانظر تاريخ الفلسفة العربية ص ٢٥ جميل صليبا .

ويقابل كل جزء من أجزاء النفس فضيلة فالاعتدال فضيلة النفس الشهوية ، والشجاعة فضيلة النفس الغضبية والحكمة فضيلة النفس العاقلة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاثة باعتدالها ونسبه بعضها إلى بعض فضيلة أخرى تكمل وتتم لها تلك الفضائل وهى العدالة ويجب أن تخضع كل قوة من هذه القوى إلى التى أعلى منها والسعادة والفضيلة لا تنفصلان فالذى يبتعد عن النظام ينبغى أن يعود إليه ، والأفضل تحمل الظلم ولا يجب مقابلة الظلم بمثله ويجب على المجرم أن يسعى فى التكفير عن ذنبه ولا يهرب منه والرجل الفاضل يحب الخير بجميع مظاهره .

مذهبه فى السياسة :

يرى أفلاطون أن السياسة ما هى إلا تطبيق عملى للأخلاق بمعنى أن الغرض منها الوصول بالناس إلى الفضيلة والسعادة وتنحصر مهمة الحكومة فى تقرير الفضيلة فالفرد لا يوجد إلا للدولة كوجود العضو فى الجسم .

والدولة أشبه بالإنسان لها ثلاث قوى تنطبق على طبقات الناس المكونة للأمة .

فتنتمى للقوة الشهوية طبقة الفلاحين والعمال وكل ذى حرفة مادية ، وتنتمى للقوة الغضبية طبقة المحاربين الذين يدافعون عن الوطن ، أما القوة المدركة العاقلة فينتمى إليها الحكام وهى صفة هؤلاء الحكام ، كما أن الشجاعة صفة الطبقة الثانية والاعتدال تتصف به الفئة الأولى وينبغى للفريق الأدنى الخضوع للفريق الأعلى منه فتسود العدالة وتستقيم أمور الدولة وتستقر أحوال الأمة ويجب إلغاء حق

التمليك الفردى والعائلة فتكون النساء والمقتنيات مشاعة بين الجميع وتتولى الحكومة توزيع الأموال وتربية الأولاد — لأنهم ليسوا أبناء هذا أو ذاك من الناس بل هم أبناء الدولة وتتبع فى التربية الميل العزيزى ، وأذكياؤهم يتعلمون الحكم ليكونوا فيما بعد حكاما ويشعر أفلاطون بصعوبة تطبيق هذا النظام فيجيب فى الجمهورية على من سأله عن إمكان تكوين دولة على هـــذا النحو ، بأن البحث عن النظام الكامل شىء وإمكان تطبيق هذا النظام شىء آخر .

أرسطو

ولد هذا الفيلسوف على الأرجح عام ٣٨٤ قبل الميلاد فى ستاجيرا من من أعمال تراقيا وكان أبوه قد ورث منصب طبيب الأسرة لملك مقدونيا وقد ذهب أرسطو إلى أثينا حيث أصبح تلميذا لأفلاطون ولبث فى الأكاديمية مايقرب من عشرين عاما ثم أصبح مربيا للإسكندر الذى كان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما ولبث فى ذلك المنصب حتى بلغ الاسكندر السادسة عشر من عمره ، وأعلن أبوه أنه قد بلغ رشده وعين وصيا على العرش أثناء غياب فيليب وقد توجه أرسطو إلى بلده أسوس من أعمال طرواده حيث أسس فرعا للأكاديمية وقد ظل أرسطو يعلم فى هذا المكان ثلاث سنوات وقد ظلت هذه المدرسة قائمة مدة طويلة وتعاقب عليها زعماء كثيرون ولكن حظها فى البقاء كان أقل من حظ الأكاديمية[1] وكان أرسطو يلقى دروسه على تلاميذه وهو ماشى ولذا أطلق على هؤلاء لقب المشائين .

مؤلفاته :

تعتبر مؤلفات أرسطو كدائرة معارف تتناول جميع العلوم البشرية التى كانت معروفة فى الجيل الرابع قبل الميلاد فوضع لكل علم كتابا خاصا ماعدا العلوم ، وتنقسم هذه المؤلفات إلى ثلاثة أقسام :

١ — العلوم النظرية أو العلمية ومن مؤلفاته فيها : كتاب السماء والطبيعة وتاريخ الحيوان وكتاب النفس ثم كتاب الفلسفة الأولى أو ماوراء المادة الخ

٢ — العلوم العملية أو الأدبية ومن كتبه فيها الأخلاق والتدبير المنزلى والسياسة المدنية الخ .

---

(١) ص١٥ تاريخ الفكر الفلسفى (أرسطو) ج٢ د. محمد على أبو ريان .

٣ — العلوم العقلية والشعرية ومن مؤلفاته فى هذا المجال الشعر ، كتب المنطق (أرجانون) وهى تتضمن قاطيغورياس (أى - المقولات) وباريمنياس (أو العبارة) وأنا لطيقى (أى القياس) وأنا لطيقى الثانية (أو البرهان) الخ.

منطق أرسطو :

إن المنطق كقانون للفكر منظم لعملياته ، وكميزان للبحث العقلى ضابط لصحيحه من فاسده ، هو وحده الذى يصلح فى نظر فيلسوفنا لأن يكون آلة ارتباط بين عالمى الحس والعقل وبه وحده كذلك ترتبط كليات هذا الوجود بجزئياته ، وكذلك كلياته وجزئياته بعضها ببعض ومن هنا كانت عناية أرسطو بالمنطق عناية كبيرة فكل ماهو موجود فى كتب المنطق العربية تقريباً هو منطق أرسطو .

ولقد قسم الغربيون فى العصور الحديثة المنطق إلى قسمين منطق الصورة ومنطق المادة وقد عنى أرسطو بأولهما فقط وأما ثانيهما فلم يبحث إلا فى العصور الحديثة ، ويعد أرسطو مؤسس علم المنطق وواضع قواعده وقوانينه مما لم يدع مجالا لمن أتى بعده لنقضها أو لإضافة شىء عليها ومن هنا فقد سمى أرسطو بالمعلم الأول لأنه أول معلم لعلم المنطق ولم يكن قبله علما[1] والحقيقة أن منطق أرسطو هو الذى خلد ذكره على مر التاريخ .

(١) ص ٢٢٩ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين . .

مذهبه فيما بعد الطبيعة

يرى أرسطو أن غرض الفلسفة الأولى العلم بالموجودات كما هي موجودة ، والموجود الذى تدلنا عليه التجربة قابل للتغير أى التحول من القوة إلى الفعل الذى تصير فيه الحركة والحركة تستلزم محركا ولذلك تكون الأصول التى تفسر معنى تحول الموجودات (مادة) أى الأساس الغير المحدود الذى تصنع فيه الموجودات . ثم (الصوره) التى تتشكل بها الموجودات وبها تتباين وتتميز عن بعضها (والعلة الفاعلة) التى تحول المادة من القوة إلى الفعل ، ثم (العلة الغائية) التى يقصدها الفاعل عند تشكيلة المادة بالصورة التى شكلها بها .

مثال ذلك :

تمثال من نحاس فمادته النحاس ، وصورته النحاس المتمثل ، وصانعه هو العلة الفاعله ، والشهرة أو المكسب غايته من عمله .

والعالم الحسى يتركب من مادة وصورة والعلاقة بينهما علاقة قوة بفعل ، وهذان الأساسان يسبقان كل تغير فهما أزليان ولا يمكن لواحد منهما أن يوجد بغير الآخر ، بل يتلازمان ويتجاذبان ويتممان بعضهما البعض ، وباتحادهما يصير الموجود هو ماهو متميزا عن غيره ، وليست المادة عدما بل هى الوجود فى حالة القوة وتتميز بالصورة ، فكتله النحاس تمثال بالقوة والتمثال : كتلة النحاس تشكلت بالفعل تمثالا فإذن تحول القوة إلى الفعل هو التغير أو الحركة والحركة نقطة الاتصال بين المادة والصورة .

ومذهب المشائيين يرجع إلى ثلاثة أصول :ـ

القوة أو القدرة والحركة والفعل.

أما الموجود الأعظم فهو غير خاضع لهذا القانون التركيبى فهو صورة مجردة بدون ماده لأن المادة ليست كاملة بذاتها ، بينما أن الموجود الأعظم صورة مجرده وفعل مجرد أى غير مختلط بالإنفعال ولا بالتحديد ولقد أصاب أرسطو القول من أن الفعل يسبق القوة ويسبب وجودها والشىء المقدر لايمكن تحوله من القوة إلى الفعل إلا بواسطة واجب الوجود ، فالناقص لايمكنه أن يكون موجدا للتام بل هذا مصدر ذاك .

أما الحركة الطبيعية فهى أبدية ويشترط لكل متحرك محرك يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهى إلى محرك لايتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معا .

فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الأبدية التى تتحرك بعلة غائية أى بطريق الجذب نحو العقل الأعظم والشوق إليه كما يستميلنا الخير ويستهوينا الشىء الجميل بدون دخل لهما فى ذلك .

وعلى هـــذا المثال ينجذب عالمى الأرواح والأجسام نحو الله بدافع ذاتى .

فأرسطو لايعترف بالعناية الإلهية كأفلاطون إلا أنه أثنينى مثله فكلاهما يقول بالله والمادة منذ الأزل والله على رأيهما لم يخلق بل نظمها فقط والله جوهر روحانى يتجلى فيه الفعل والحياة بأتم مظاهرهما ومتمتع أبدا بالسعادة الكاملة ولأنه منهمك فى مشاهدة ذاته فإنه لايلتفت إلى العالم وأرسطو بهذا الرأى يتصور الإله منطويا على نفسه ومقصورا على برجه العاجى ، غير عالم بشىء فى هـــذا الكون ولا مريدا لما يجرى فيه من أحداث فهو بهـذا ينفى التدبير الإلهى للعـالم عن الله ونحب أن نلفت أنظاركم

إلى أن بحث أرسطو فيما بعد الطبيعة نشأ من تحليله لنظرية أستاذه أفلاطون في (المثل) وبيان مافيها من أخطاء والرد عليها ومن هذه الردود .

١ ـ أن نظرية المثل الأفلاطونية لاتوضح مشكلة كيف نشأ هذا العالم ؟ مع أن هذه أهم مسألة فى نظر الفلسفة فإذا سلمنا بأن هناك مثالا للبياض مثلا فكيف نشأت عنه الأشياء البيضاء ؟ لا يمكننا أن نفهم هذا من كلام أفلاطون ، ولا يمكننا أن نفهم العلاقة بين المثال وأشيائه .

يقول : أن هذه الأشياء صورة للمثال ، وأن المثال (يشاركها الوجود) ولكن هذه العبارة — فى رأى أرسطو — عبارة شعرية لاتوضح العلاقة ولا تبين أساس الوجود .

٢ — يمتنع قيام مثل للجواهر المحسوسة فإن المادة جزء منها ولا يوجد الإنسان مثلا إلا فى لحم وعظم ، فإذا فرضنا المثل مفارقة كانت معارضة لطبيعة الأشياء التى هى مثل لها ، وإذا فرضناها متحققة فى مادة صارت متشخصة جزئية ، وفاتنا المقصود منها وهو أن تكون مجردة ضرورية .

٣ — المثل على رأى أفلاطون روح الأشياء ، وروح الأشياء يجب أن يكون فيها لاخارجا عنها ، ولكن أفلاطون فصل المثل عن الأشياء وجعلها عالما مستقلا ، وجعل لكل مثال وجودا مستقلا .

المعرفة عند أرسطو

يقرر أرسطو أن الحواس الخمس هى نافذة الجسم المفتوحة على العالم الخارجى ، فحاسة الذوق تدرك بالإتصال طعم الأشياء وحاسة الشم تدرك ولوعن بعد روائح الأشياء ، وحاسة اللمس تميز الحرارة والبرودة والرطوبة

واليبوسة وهى فى كل أنحاء الجسم ، وحاسة السمع تدرك ولو عن بعـــد الأصوات ، وحاسة البصر تدرك المرئى ولو من بعد أيضا .

إلى جانب ذلك يملك الإنسان إدراكا باطنيا يحاول به أن يحرر من الصورة المادية مابقى فى ذاكرته لذلك تصبح معرفته تجريدية ذهنية تحفظ جواهر الأشياء بعد أن تنتزع منها صفاتها المحدودة ، فمثلا الألوان يدركها الإنسان كمفهوم مجرد بعد أن يدرك الألوان حسيا بحاسة البصر .

ثم يقرر أرسطو أن المعرفة تذكرية إرادية لاحدسية كما قال أفلاطون ، بمعنى أن الإنسان يريد أن يعرف ولا يتذكر دون مجهود وهذه الإرادة تجعل الإنسان يستدعى أفكاره بصور متشابهة أو مترابطة وهذا ما نعرفه اليوم باسم تداعى الأفكار .

والعقل البشرى — فى رأى أرسطو — هو عقل بالقوة يولد كصفحة بيضاء لاشىء عليها ثم بواسطة التجريد يبدأ الإنسان يخط هذه الصفحة بالمعرفة ، والمعرفة هذه عامة لاجزئية ومعنى أن معرفة الإنسان تنطلق من المجرد إلى الحسى لا العكس ، مثلا يقول أرسطو : إننا بعقلنا لا نرى أفلاطون مثـــلا الذى هو إنسان بل نرى الإنسان الذى هو فى أفلاطون فلا وجود للمعقولات إلا فى الذهن عكس ماقيل فى نظرية المثل .

ولكن كيف تنتقل المعقولات لتصبح بالفعل بعد أن كانت بالقوة ؟ يقرر أرسطو أن ذلك يتم عن طريق العقل الفعال وهو عقل بالجوهر لايدخله جسد ، هو عقل جميع الأنفس البشرية يتصل بعقولنا الفردية ويعاملنا كما يعامل النور الأشياء التى لولاه لاتراها ، كذلك العقل الفعال عقل الأرض لولاه لاوجود لعقولنا الفرد إلا بالقوة ، هو وحده يحولها إلى عقول فردية بالفعل تدرك كل المعقولات حتى إذا ماضعف العقل عند

الشيخوخة فهذا لايعنى أن العقـــل جسد بل مرد ذلك إلى كون القوى الحيوانية المدركة فى الحواس قد ضعفت . وبالتالى صار على العقل أن يتحمل صعوبة المهمة لأن نوافذه على المعرفة أى الآلات والحواس لم تعد قادرة وقوية كما كان سابقا[١] هذا هو رأى أرسطو فى المعرفة وهذا هو حديثه عن العقل الفعال ولست أدرى ماالذى جعل أرسطو يرتاد المجهول ويتحدث عن هذا العقل الفعال ؟

إن أرسطو لم يخبرنا عن أوصاف هذا العقل وكيف لايخالطه الجسم ويعمل بواسطة الآلات الجسدية ؟

من أين أتى هذا العقل الفعال ؟ [وكيف يبرر أرسطو هذا التناقض فى قوله ، إن هذا العقل لايتحد بالبدن مع أنه لا وجود للنفس ــ فى رأيه ــ إلا مع البدن ، فأين كان هذا العقل عند حدوث النفس ؟ وأين توجد النفس دون جسد ؟

هذه الفكرة جعلت الشارحين فيما بعد يختلفون ويفسرون أرسطو عده تفسيرات .

منهم من اعتبر العقل الفعال هو الله .

وآخرون ظنوه من عقول نظريه الفيض .

وغيرهم اعتبروه العقل العام .

أما ماقرره أرسطو فى فكرة القوة والفعل فهذا وحده يضمن لأرسطو أن نعجب به وأن نثنى عليه وعلى منهجه الفلسفى العميق .

---

(١) الفلسفة العربية غير التاريخ ص ٥٣

مذهبه فى الأخلاق :

يرى أرسطو أن الإنسان يحتاج إلى جماعة ليعيش فى ظلالها ذلكم أن الإنسان عنده مدنى بالطبع ومن هنا كانت الحاجة إلى الأخلاق وذلك لتنظيم علاقة الفرد بالفرد ثم بالمجتمع كى يعيش الجميع فى الخير الأعظم الذى يراه أرسطو غاية الحياة .

ولكن ماهو هذا الخـــير الأعظم ؟ هل هو السعادة ؟ ولكن ماهى السعادة ؟ .

لقد اختلف الناس فى تحديدها ، بعضهم يراها فى اللذة وبعضهم يقول بأنها الحكمة وبعضهم ومنهم أرسطو يحصرها فى الفضيلة وأرسطو ينفرد عمن تقدمه بفهم خاص للفضيلة ، فهو يرفض الفضيلة الحزينة العابسة المحرومة من طيبات الحياة تقنع بالعقليات المجردة وتطرح حاجات الجسم وتميت الميول والعواطف .

وهو يقرر أنه وإن كانت الفضيلة المجردة هى الخير الأعلى والخير العام فإن الخيرات الدنيوية الخاصة جديرة أن تكون لها كمالا على كمال ، وأن حصول الفيلسوف الفاضل على الصحة والثراء والجمال والأسرة الشريفة والتقدير والإجلال الجدير بمقامه كل ذلك يزيد فى فضيلته ويكملها[١] .

ويرى أرسطو الفضيله أنها (وسط بين طرفين كلاهما رذيلة) فالكرم الذى هو فضيله وسط بين الإسراف والتقتير وكلاهما رذيلة ، والشجاعة بين الجبن والتهور وكلاهما رذيلة ، والعدل وسط بين الظلم والانظلام وكلاهما رذيلة ، وبالجملة فإن الفضيلة هى المران على عمل الخير

---

(١) ص ١٧ - ١٨ فلسفة الأخلاق : الأستاذ أبو بكر ذكرى .

وتكون فى اختيار أواسط الأمور ومقياس السلوك عنده كذلك هو التزام الوسط فى كل شىء .

والعائلة لازمة للجنس البشرى وضرورية لكيان المجتمع وهو بهذا الرأى يخالف أفلاطون الذى يفكك الأسرة لمصلحة المجتمع .

مذهبه السياسى :

يرى أرسطو أن الإنسان حيوان اجتماعى فهو مدنى بالطبع كما سبق والغرض من السياسة تكمن عنده فى خير الدوله التى لابد أن تقوم على مبدأ الحرية والمساواة .

ووظيفة الحكومة كما يرها أرسطو إنما تقوم على تقرير الفضيلة وإقامة العدل بين الناس فيتساوون فى الحقوق والواجبات ولا يمتاز الواحد عن الآخر إلا بالكفاءة .

وخير شكل للحكومة ـ فى رأيه ـ أن تكون جمهورية لأنها تضمن النظام والأمن والحرية .

وبعد فهذه قطرات من بحر فلسفة أرسطو وسطور من تراثه الفكرى المترامى الأراف الواسع الغور ، البعيد المدى .

فإن أرسطو تعتبر ـ بحق ـ أكبر وأعظم الفلاسفة اليونانيين قاطبة ذلك بأنه لم يوسع قط من مدلول كلمة فلسفة حتى أصبحت تحتوى عنده كل ضروب وأشكال المعرفة الإنسانية ، بل أن أعماله الفلسفية لتعتبر بمثابة موسوعة فلسفية لخصت لنا كل ثقافة وفلسفة عصره . فلقد عالج أرسطو فى فلسفته موضوعات متعددة ومتنوعة فتطرق إلى دراسة الله ووجوده والنفس الإنسانية وكذلك الطبيعة والمجتمع ، ولم يهمل السياسة والشعر

والبلاغة والمسرح . ولعل أهم جوانب فلسفة أرسطو قاطعة هو المنطق على أساس أنه المنهج الذى كانت تقوم عليه كل الثقافة اليونانية ، وقد صاغه أرسطو الصياغة العلمية التى بدت حتى فى العصور الحديثة — كما يقول كانت الفيلسوف الألمانى وكأنها هى الصياغة الأخيرة النهائية(١) .

وقد رتب أرسطو كتبه فى المنطق بحيث تطابق عمل العقل فى تدرجه من البسيط إلى المركب وبحيث يكون كل منها كالمقدمة لما يليه ، فبدأها بكتاب المقولات المسمى « قاطيغورياس » وجعل البحث فيه عن الأجناس العالية للموجودات فحصرها فى عشر مقولات هى .

الجوهر ـ الكم ـ الكيف ـ الاين ـ المتى ـ الوضع ـ الإضافة ـ الملك ـ الفعل ـ الإنفعال ـ .

ولما كانت هذه المقولات التسع ماعدا « الجوهر » هى صفات له يمكن أن تقع محمولات عليه فقد جعل كتابه « المقولات » مقدمة لكتاب العبارة المسمى « بارى أرمتياس » الذى يعالج فيه القضايا من جهاتها المختلفة ومايتعلق بها من أحكام مثل العكس والتناقض .

ولما كانت القضية تقع مقدمة للقياس فقد جعل هذا الكتاب مقدمة لكتابه « التحليلات الأولى » المسمى « أنا لو طيقا الأولى » الذى يبحث فيه عن القياس من حيث الصورة التى يجب أن يكون عليها ومن حيث وجوب اشتماله على الحدود الثلاثة والشروط التى يجب توافرها فى كل شكل من أشكال القياس لإطراد الإنتاج .

ولقد كان المعلم الأول يعتز باستدلاله القياسى ويعتبره أدق ماوصل

---

(١) ص ١١٤ مدخل الفلسفة دكتور/ حسن عبد الحميد .

إليه العقل الإنسانى فى التفكير ، وكان له مكانة عظيمة طيلة العصور الوسطى مسيحية وإسلامية حيث كان يستخدم فى دعم القضايا الدينية واللاهوتية إلى أن استقل كعلم عقلى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، كما اعتمدت عليه فلسفة بعض المتأخرين أمثال « كانت » و « ليبنتز » و « هاملان » .

والحق - كما قلنا سابقا - أن منطق أرسطو قد خلد اسمه أكثر مما خلدته فلسفته فإنه كان موضع إعجاب المفكرين فى كل العصور ، وقد تركه أرسطو علما كاملا مشتملا على جميع صور الفكر بحيث لم يترك لمن جاء بعده مجالا لتعديل أو زيادة أو تجريح فهو كما يقول كانت :

« سلسلة منظمة من التفكير السليم »

هذا وقد ألحق العرب فيما بعد بمنطق أرسطو عناصر جديدة استوحوها من باقى كتاباته فأضافوا الخطابة والشعر وصار منطق أرسطو يضيف لنفسه الجدل الخطابى والشعرى الذى يقنع بسحر الأسلوب والخيال والعاطفة [1] .

---

(١) أنظر ص ٤٥ من الفلسفة العربية عبر التاريخ و ص ١٠ من المنطق الحديث للدكتور الهراس و ص ١٥ من المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور قاسم دار المعارف .

المقارنة بين أفلاطون وأرسطو

يحلو لكثير من المؤرخين أن يقابلوا بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو أو بين التلميذ وأستاذه ، فالبعض يوفق بين الفلسفتين والبعض الآخر يفرق بينهما وكأنهما على طرفى نقيض يبالغون فى نظرة أفلاطون المثالية وفى نظرة أرسطو الواقعية وسوف نضع بين أيديكم هنا ما اتفق عليه الفيلسوفان وما اختلفا فيه .

١ — اختلف الإثنان فى طريقتهما فأفلاطون شاعر بقدر ماهو فيلسوف يحب المجاز والرموز ويكتب بشكل اختراعى وعلى نمط محاورات لا يظهر فيها رأيه إلا بعد أخذ ورد وطريقتة استقرائية أما أرسطو فكتابته منظمة وآراؤه متعادلة وطريقته الملاحظة والبرهان الدقيق ولغته موجزة مع اختصار فى التعبير .

٢ — اتبع الاثنان مبدأ أستاذهما سقراط من أن غرض المعرفة (العموم) وليس (الخصوص) المتغير ، وجوهر الوجود على رأى أولهما المثال وعلى رأى الثانى الصورة الظاهرة .

فالمثل الأفلاطونية والصور المشائية لها مصدر واحد بيد أن أفلاطون يفصل الخاص عن العام ويرى فى هذا الأخير الحقيقة الواقعة ، أما أرسطو فبدوره يصل العام بالخاص والفرد المكون منهما هو الواقع ويبنى على ذلك أن الحواس وبالتالى الامتحان والتجربة لا دخل لهما فى المعرفة — على رأى أفلاطون — بعكس ماذهب إليه أرسطو .

والاثنان مصيبان فى مذهبهما لأن الشىء العام لا وجود له بصفته هذه بدون الأشخاص التى يتحقق بها ، ولأنه يجب البحث عن العموم بصرف

النظر عن الأفراد التى لاتتشكل بأشكال متماثلة إلا بدليل خارج عن تلك الأشخاص ومخالف لجوهرها .

٣ ـ قال الفيلسوفان أن الكمال غاية الوجود ، والكامل هو الأول بذاته أى الفعل السابق للقوة . أو المثالى الموجود قبل الواقعى ، غير أنهما اختلفا فى الطريقة الموصلة من الناقص إلى التـــام أو من التابع إلى المتبوع المطلق .

فأفلاطون لاحظ التشابه الكائن بين الموجودات فبحث عن النماذج متى تشكلت على مثالها الأنواع المختلفة وتدرج فى الارتقاء من نموذج لآخر حتى انتهى إلى المثال الأعظم لنموذج الكمال والجمال .

أما أرسطو فلاحظ حركة الموجودات وأفعالها فتدرج من محرك لآخر إلى أن وصل إلى المحرك الذى لايتحرك أى إلى الفعل المجرد مبدأ النظم جميعها والعلة الغائية للطبيعة .

وكل من الإثنين قال بالواحد الأحد . إلا أن الله فى نظر أفلاطون منظم العالم بعقل وبصلاح ، أما أرسطو فهو يقلل من قيمة الألوهية إذ جعلها مشغولة عن العالم بالتمتع بكمال جوهرها وسعادتها العظمى .

٤ — ينفصل أرسطو عن أفلاطون بآرائه الأخلاقية والمنطقية والسياسية لجدليات أفلاطون ركيكة . أما الأستاذ (أرسطو) فقد وضع أساس المنطق واستوفى البرهان لم ينكر أفلاطون الحرية الشخصية صراحة ولكنه يشك فيها بتمثيل الفضيلة بالمعرفة والرزيلة بالخطأ أما أرسطو فقد ميز بين العالمين العقلى والاخلاقى ورفض مذهب (الجبر النفسى) مؤكدا أن الإنسان مخير وحر التصرف لامسير .

وخلاصة القول : أن فلسفة هذين العظيميين أثرت أكبر تأثير فى فى الاحقاب التى تلتهما حتى لقب أفلاطون بالإلهى .

ودعى أوجست كونت (أرسطو الذى لاشبيه له) لقد كان أفلاطون يحلق فى السماء أما أرسطو فيبحث فى الارض ويلمس الواقع ، يقول بعضهم .

« إنك إذا تحولت من فلسفة أفلاطون إلى فلسفة أرسطو كنت كمن هبط من ذروه جبل إلى أرض ذات مزارع وبساتين ، تعهدت زرعها وأشجارها يد ماهرة وأحيطت بسياج حصين[1] وهاهو الرسام الشهير رافائيل يتخيل أرسطو يشير بأصبعه إلى الأرض ويعنين واقعتين بينما أفلاطون ينظر بحلم ومثالية إلى السماء ويشير إليها[2] .

وقد قال أحد الكتاب الالمان :

(أن كل مولود يولد إما أفلاطونيا أو أرسطوطاليسيا) ويعنى بذلك أن الناس إما أن يميـــلوا إلى الخيال وإما إلى الواقع ، أما إلى الشعر وأما إلى المنطق الجاف .

---

(١) ص ٢٨٥ قصة الفلسفة اليونانية .

(٢) الفلسفة العربية عبر التاريخ .

الفلسفة بعد أرسطو

بعد أن جاد الزمان بالفلاسفة العظام (سقراط ـ أفلاطون ـ أرسطو) أخذت الطبيعة هدنة ردحا من الوقت حيث أن الخلفـــاء لهؤلاء الكبار لم تكن فيهم روح الابتكار أو الإبداع فظلوا متبعين مذاهب معلميهم ، حتى أنهم أيضا لم يحافظوا عليها كما تسلموها بل أدخلوا عليها آراء غريبة فتلاميذ أفلاطون أدخلوا نظرية العـدد بدلا من نظرية المثل ورأى بعضهم أن الخير ليس مبدأ الأشياء بل نتيجة لها ونفس الشيء أيضا حدث فى مذهب أرسطو فلم يحافظ تلامذته على تعاليمه بل حوروا فى مذهبه فيما وراء الطبيعة وجعلوه واحديا بعد أن كان أثنينيا ، وانصرفوا إلى العالم الطبيعى فأوى بهم الأمر إلى المذهب المادى ولقد كانت نظرية السعادة أو الخير المطلق شغل الفلاسفة الشاغل لذا فقد أصبح علم الأخلاق من أهم أبحاثهم ومن هنا فقد تباروا فى الإجابة على هذا العلم وأشتهر أنذاك ثلاث مدارس جديرة بالذكر وهى المدرسة الأرتيابية والمدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية وسوف نتحدث عن هذه المدرسة الأخيرة فقط لأنها أكثر هذه المدارس شهره .

المدرسة الأبيقورية

لقد أسس هذه المدرسة أبيقور الذى ولد فى ساموس عام ٣٤٢ ق م وبعد فترة انتقل إلى أثينا حيث قضى عاما واحداً ثم قصد إلى كولوفون وبقى اثنى عشر عاما لا ينقطع عن الدراسة والبحث معلما نفسه بنفسه وعندما استقر فى أثينا أقام مدرسة فى داره وحديقته ولذا فقد عرف تلاميذته فلاسفة فلاسفة الحديقة ، ولقد كان هذا الفيلسوف ذا شخصية محبوبة وهذا هو السر فى تعلق تلامذته به إلى درجة التقديس ، وقد بقيت المدرسة الأبيقورية قائمة نحوا من ستة قرون ، ولقد وضع أبيقور أساس المذهب وأكمله فلم يزد من جاء بعده شيئاً ذا قيمة على آراء أستاذهم ولقد أفرط هذا الفيلسوف فى التأليف إذا أخرج نحوا من ثلاثمائة مجلد لم يبق منها سوى شذرات قليلة .

مذهبه الطبيعى :

لقد اهتم أبيقور بدراسة الطبيعة وحاول أن يفهم أسرارها لأن هذا — فى رأيه — يخدم الجانب الهام والأساس من فلسفته وهو الأخلاق ، وهو يقول فى هذا أن الذى ينقص صفو الإنسان فى هذه الحياة أمران الخوف من الآلهة وخشية الموت وما قيل عن الحياة بعد الموت فإذا استطعنا أن نقضى على هذا الخوف .

فإننا نكون حينئذ قد تخلصنا من أخطر الأمور التى تقف حائلا أمام سعادة الإنسان وليس أمامنا من طريق للقضاء على هذا الخوف إلا بدراسة الطبيعة وفهم قوانينها والاقتناع فى النهاية بأن هذا العالم ما هو إلا آلة ميكانيكية محكوم بعلل ومعلولات طبيعية ولا توجد فيه سوى الكائنات الطبيعية ، وأن الإنسان فى نهاية الأمر حر له أن يحقق سعادته كيفما يريد

عن طريق إرادته الحرة[١].

هذا والمادة — عنده — هى مصدر كل شىء والنفس نفسها مادية والعالم وكل ما احتوى عليه نشأ عن تركيب الذرات المتعددة الغير مخلوقة والتى لا تفنى فهى تتحرك على الدوام بنفسها فى الفضاء ولم يكتف أبيقور بنظرية ديمقريطس فى تفسير تقابل الذرات وتحركها عمودياً بل قال إن لها قدرة على الانحراف عن العامود وبهذه الكيفية يمكنها أن تؤلف مجموعات مختلفة .

والنفوس مركبة من ذرات أكثر لياقة وتحركا من الجزئيات التى تؤلف الأجسام ويقول أيضاً بأن الاتفاق أو الصدفة تعمل فى تركيب الأجسام وتأليفها ، أى أنه يقول بوجود معلول بدون علة .

ويرى أبيقور أن هناك اتفاقا على وجود آلهــة تعيش فى سعادة تامة فى حيز القضاء أى بين العوالم والإنسان لا يجب عليه أن يخشاها أو يحترمها إذ لاعلاقة لها بالعالم ولاارتباط بينها وبين الناس كذلك لايخشى الناس عقابا ولا يأملون ثوابا فى عالم آخر لأن النفس مادية تفنى بانحـلال الجسم وما الخلود — عنده إلا وهم باطل وعلى ذلك يكون الموت لا معنى له فلا هو شر لمن يعيش ولا لمن انتهت حياته . وبذلك تتم السعادة البشرية إذا انتفى كل خوف من حياة أخرى .

مذهبه الخلقى :

كان الاعتقاد السائد عند أبيقور أن ما تبحث فيه الفلسفة من موضوعات وكل ما تتصدى له من دراسات عديم الجدوى فى محيط الحياة الإنسانية إلا جانباً واحداً من جوانبها هو وحده الذى يستحق منها العناية بالبحث

---

(١) ص ١٣٢ - ١٣٣ مدخل إلى الفلسفة دكتور حسن عبد الحميد .

والدراسة لما له من صلة بمقوماتنا الذاتية ، وفائدة عظيمة فى حياتنا العملية ذلك هو الجانب الأخلاقى من الفلسفة الإنسانية والواجب أن لا نعتد بغيره من الأبحاث الأخرى إلا بمقدار ما يعيننا على دراسة الأخلاق التى يجب أن يصرف إليها الحكماء كل اهتمامهم (١).

لقد تابع أبيقور (أريستيب) الذى قال أن الخير فى اللذات كيفما كانت والشر فى الآلام مهما حسنت غايتها ، ولكن أبيقور لم يواصل السير معه إلى آخر الشوط ، بل أنكر عليه اعتداده باللذة العاجلة فإن ذلك لا يوصل إلى السعادة ، وإنما نحصل على السعادة بتحصيل الأنفع من هذه اللذات .

ذلكم أن أبيقور يفرق بين نوعين من اللذة .

أحدهما : حاد ومتقلب يذهب سريعاً وتكثر منه الآلام وهذا النوع هو لذة جسمية فإذا جعله الإنسان غرضه من الحياة حكم على نفسه بعذاب تنتال (٢).

أما النوع الثانى : فهو اللذة الأبدية فهى ساكنة ومستديمة ومجردة من كل قلق وهذه اللذه هى العقلية التى لا اضطراب فيها ولا ألم ولا نصب فيبلغ الإنسان منتهى السعادة وغاية الحيـــاة أو الخير الأعظم ، ولا يصل الإنسان إلى هذه اللذة إلا إذا ميز بين الرغائب التى يمكن نوالها وعددها قليل وضرورية للوجود (فيكسره خـــبز وقدح ماء يسد جوعه ويروى ظمأه).

---

(١) ص ١٤٥ – ١٤٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) تنتال ملك ليديا أو لم للآلهة وليمة قدم فيها جسد ابنه فحكم عليه بالعذاب : يعطش ولا يجد ماء ويجوع ولا يجد قوتا فظل إلى الأبد ظمآن جائعا

والرغائب : الطبيعية التى ليست ضرورة يجب التقليل منها بقـــدر الإمكان لأنها جالبة لانشغال البال واضطراب الفكر كالزواج مثلا والاهتمام بشئون العائلة :

أما الرغائب : الكمالية التى ليست بضرورية ولا بطبيعة فيجب نبذها واستئصالها كمحبة الغنى والشرف والرياسة فهذه الرغبات لا نهاية لها .

والفضيلة أجمل ما يتمتع ولكن كواسطة وليست كغاية فكما أن الإنسان يدرس الطب لاحبا فى ذات العلم بل ليشفى به الأمراض لنوال الصحة ، كذلك الفضيلة يمارسها العاقل لا لذاتها بل نظراً للذة التى تنشـــأ عنها والحكمة تجعلنا نميز بين اللذات الصحيحة واللذات الكاذبة — والاعتدال يمنعنا من الاسترسال فى الشهوات المضطربة كما أن الشجاعة تقصى عنا الخوف من الموت ومن عذاب الجحيم ، أما العدالة فتحفظنا من اعتداء الغير ، والصداقة تعزينا على احتمال التجارب والصبر عليها .

ومذهب أبيقور بهذا يخرج من مذهب اللذة إلى مذهب المنفعة وكان هذا المذهب تأسيساً لمذهب المنفعة الذى استمد منه بعض فلاسفة الانجليز بعد عشرين قرناً مذاهبهم فى الأخلاق وعرفوا بفلاسفة المنفعة .

ولقد انتشر المذهب الأبيقورى فى روما وذلك بفضل اتباع هذا المذهب، ولكن بعد الميلاد بثلاثة قرون تدهورت تعاليم الأبيقورية وأصبحت كلمة أبيقورى لا تطلق إلا على كل ماجن خليع مسترسل مع الشهوات [١].

---

(١) ص ٢١ فلسفة الأخلاق : الأستاذ أبو بكر ذكرى .

الأفلاطونية الحديثة

تنسب هذه المدرسة إلى أفلاطين الذى ولد فى مدينة (ليقوبوليس) وهى مدينة أسيوط الآن فى صعيد مصر عام ٢٠٥ ميلادية وبعد مدة من الزمن رحل إلى الأسكندرية حيث تتلمذ خلال عشر سنوات على أمونيوس ساكاس ثم رحل إلى روما وظل بها إلى أن فارق الحياة عام ٢٧٠م ولم يكتب شيئاً من كتبه إلا عنـــدما قارب سن الخمسين من عمره وكانت فلسفته مجرد شروح لنصوص أفلاطون أو أرسطو أو من المدرسة الرواقية وكانت حياته مظهراً للزهد والتقشف لتطهير الروح من أدران الجسد ولم يكن يتناول من الطعام إلا ما يقيم أوده كما حرم على نفسه تناول اللحوم .

فلسفته :

يرى أفلاطين أن العالم قد صدر عن (واحد) غير متعدد لا تدركه العقول ولا تصل إلى كنهـــه الأفـكار ، وهو أزلى أبدى قائم بنفسه فوق المادة والروح وفوق العالم الروحانى / خلق الخلق ولم يحل فيما خلق ، بل ظل قائماً بنفسه على قلعه ليس ذاتا وليس صفة ، بل هو الإرادة المطلقة لا يخرج شيء عن إرادته هو علة العلل ولا علة له وهو فى كل مكان ولا مكان له ولا يوصف إلا بالسلب فهو ليس مادة وليس حركة وليس سكونا وليس هو فى زمان ولا مكان وليس صفة لأنه سابق لـكل الصفات ، فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئاً إلا أنه يخالف كل شيء ويسمو على شيء[1] وهو كامل جواد فياض ومن هذا الفيض حدث (عقل) شبيه به وهذا العقل يدور

---

(١) ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ قصة الفلسفة اليونانية .

ويفيض فيحدث صورة فيه هى (النفس الكلية) وتفيض هـــذه النفس فتصدر عنها نفوس الكواكب ونفوس البشر ونفوس الأجسام .

وأما المادة فهى تأتى فى آخر مراتب الوجود وهى أصل الشرقية ، واتصال النفس الإنسانية بالجسم أصل نقائصها ومنبع شرورها ومن هنا وجب عليها أن تتخلص منه لتعود إلى الواحد الأول ووسيلتها فى الخلاص من الجسم وأدراته وسلبهـــا فى الصعود إلى الأول والاتصال به . يراها أفلاطين فى الفلسفة كما يرى الغبطة العظمى فى هذا الاتصال أنه حال انجذاب تفقد النفس فيه كل إحساس وشعور بذاتها وتستغرق فى الواحد الأول . وهذه الحال ممكنة فى الحياة العاجلة ولكن لا يذوقها إلا القليل، ولا يذوقها هذا القليل إلا نادراً وحتى هو نفسه لم يصل إليها ولم يبلغها فى حياته على طولها سوى أربع مرات فقط .

وكان ذلك فى مراحل ثلاث :

أولا : روض النفس على قتل الشهوات والغريزة والرغبة .

ثانياً : تأمل ليتسامى إلى العالم الإلهى .

وأخيراً : توصل إلى المعرفة بالحدس حيث انخطف بالله واتحد به وذلك مثل اتحاد العاشق والمعشوق وأحس بسعادة لا توصف لأنهـــا ليست سعادة أرضية .

إن الله عند أفلاطين ليس خالقاً ولا صانعاً لهذه الكائنات ولكنها تصدر عنه أو تفيض منه دون أن يعلمها أو يعنى بها ، والعالم المادى صادر عن النفس العالمية وهى علة نظامه وحركاته وغاية الإنسان الفناء فى الله وهو

فى هذا يخالف أفلاطون الذى كان يرى أن الإنسان يدرك الله بالعقل ويسعد بهذا الإدراك ومع هذا فإنه يحتفظ بشخصيته .

ولقد أثرت فلسفة أفلاطين فى المسيحية وها هو العميد أنج فى كتابه النفيس عن أفلاطين يبين ما تدين به المسيحية له فتقول :

إن الأفلاطونية جزء من البناء الحيوى اللاهوت المسيحى ، فلن نجد فلسفة أخرى — فى رأيى — تستطيع أن تقترن بذلك اللاهوت دون أن يحدث بينهما تعارض ويقول : أنه يستحيل استحالة مطلقة أن تفصل الأفلاطونية عن المسيحية دون أن تمزق المسيحية تمزيقاً ويذكر لنا أن القديس أوغسطين يتحدث عن فلسفة أفلاطون فيصفها بقوله أنها (أصفى وأشرق ما فى الفلسفة كلها) ويصف أفلاطين بقوله أنه رجل (عاش أفلاطون فى شخصه حياة ثانية)[١].

وأثرت كذلك فلسفة أفلوطين فى الفكر العربى حيث حاول كثير من الفلاسفة العرب التوفيق بين الدين وبين الفلسفة ولم يكن ذلك جائزاً أو ممكناً إلا عن طريق التوفيق وذلك كى يحصلوا على الدين والفلسفة معاً أو يوفقوا بين ما اعتقدوه وبين ما أعجبوا به وأحبوه ولكن — والحق يقال لم ينجحوا فى ذلك بل أنهم بفعلهم هذا قد تهجموا على الدين وأورثوا العقد والتقصير للفلسفة العربية[٢].

وأثرت نظرية الفيض التى جاءت بها الأفلاطونية الحديثة على كثير من الفلاسفة المسلمين حيث اقتبس المفكرون من المسلمين هذه النظرية وتأثروا

---

(١) ص ٤١٨ تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل .

(٢) أنظر ص ٥٩ الفلسفة العربية عبر التاريخ .

بها ولم يشذ عن قاعـــدة الأخذ بها إلا القلائل من الفلاسفة ، وخلاصة ما أخذوه من هذه النظرية هو عامل الفيض بين الله والعقل وما يتخلل علاقتهما من فيض آخر نتج عنه الكثير من العقول والكواكب والأفلاك وذلك لإبقاء الواسطة بين الله والإنسان . ..

ومما أعجب به العرب أيضاً هو نظرية الانخطاف والإشراق عن طريق الجذب والانجذاب بين الله الجاذب والإنسان المشتاق إلى معشوقه الله .

ولعل الناظر إلى فلسفة الفارابي يدرك مقدار الأثر الكبير لنظرية الفيض والتي عن طريقها يشرح لنا الفارابي كيف كان حدوث العالم عن الله :

ومن المعروف أن هذه الأفكار للأفلاطونية الحديثـــة اشتركت في بنائها : الأفلاطونية . والأرسطوطاليسية والرواقية أو بعبارة أخرى أن أفلاطين مزج في مذهبه بين هذه المدارس الأغريقية الثلاث كما قدمنا[1] .

وكان من أسباب ظهور الأفلاطونية الحديثة انتشار مذهب الشك ذلكم أن العقل حين يئس بالفكر للوصول إلى الحق لجأ إلى السكر الروحي .

وكان هذا المذهب يميل — أول الأمر — إلى البحث مشوبا بالالهام ثم غرق بعد ذلك في الالهامات والاعتناء بالسحر وفي هذا نهاية للفلسفة اليونانية ، ذلكم أن الفلسفة إنما تقوم على العقل والمنطق فإذا اهتمت الأفلوطينية بالالهـام وما شابه ذلك فقد فقـــدت خاصيتها وهو

---

(١) ص ١٣٢ : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي دكتور محمد البهي دار الفكر طبعة خامسة . بيروت سنة ١٩٧٢ .

اعتمادها على العقل وأصبحت فى وضع أقرب إلى الدين منـــه إلى الفلسفـة .

وفى سنة ٥٢٩ ميلادية أغلق الامبراطور جوستنبان مدارس ـ الفلسفة فى أثينا فنزح بعض رجالها إلى الشرق وبلغ فريق منهم بلاد فارس وبهذا اتجهت الفلسفة نحو الشرق والغرب فاصطنعتها عقول جديدة وكان لها أثر يذكـر فى فلسفة القرون الوسطى حيث ترجمت كتب أرسطو إلى السريانية والعربية(١).

هذا وبالله التوفيق ؟

---

(١) ص٢٠٨ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى وآخر .

الخاتمة

الآن وبعد أن انتهى القلم من جولته فى أعماق الماضى السحيق وعشنا سوياً - أيها القارىء العزيز - مع أفكار الفلاسفة الأوائل ووقفنا على تصوراتهم وأرائهم حول الكون والوجود والحياة والإنسان والأخلاق ، بعد هذا كله يجدر بنا أن نأخذ العبرة والعظة من هذا الماضى ، ننظر فيه بدقة وإمعان ونعتبر به ونأخذ منه ما نستعين به على حاضر سعيد ومستقبل مشرق باسم بما يتلاءم مع تقاليدنا وأخلاقنا ومعتقداتنا .

وإذا كان القلم قد دار فى دائرة الفلسفة اليونانية فقط واقتصر حديثه عليها ، ولم يقدم فكراً إنسانياً آخر ؛ فذلك لأن هذا القلم ربما يميل إلى أن الفكر اليونانى كان بوتقه تجمعت فيها كثرة من الفكر البشرى ، أو كان نهراً صبت فيه روافد هذا الفكر لتشكل تياراً قوياً شق طريقة فى عمق وتألق وتجدد ليروى الفكر أينما كان وحيثما وجد .

واستطاع هذا الفكر أن يشكل البدايات الأولى - أو على الأقل أن يشارك فى صنع هذه البدايات - لمعظم الحضارات فى العالم ، ولعل سبب ذلك يعود إلى كون هذا الفكر أو هذه الحضارة اليونانية قد جمعت زبدة الحضارات السابقة كالمصرية الفرعونية والفارسية والفينيقية والبابلية .

فمن النادر أن تزدهر حضارة دون أن تتكل بطويتها على حضارة تسبقها زمنياً وتقدم إليها البذور الأولى أو الدعامة القوية التى يشيد فوقها الصرح الجديد ، ولقد كانت الأفكار المختلفة تفد إلى البيئة اليونانية فى موجات متتابعة وتلتحم هذه الأفكار مع العقل اليونانى المتفتح فينفعل بها

ويتأثر بالجيد منها ثم يزيد عليها بادرته الفردية فيشكل النموذج الذى وصلت به الحضارة اليونانية إلى مستوى الريادة الذى أثبته لها التاريخ .

ذلك أن مجتمع اليونان كان مركزاً تجارياً راقياً تلتقى فيه الحضارات من كل حدب وصوب مما كان يساعد العقــل اليونانى على استقراء هذه الحضارات وإنجازاتها كى يعيد البناء بأصالة أعمق وبشمولية أكثر تركيزاً وليعيد — للأمم ما اقتبسه من هذه الحضارات ويجزل لهـا العطاء يقول هيجل : إن الأصول الأولى للحضــارة الإغريقية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب ، وكان الإغريق يشعرون تجاههم بشىء من الامتنان ، فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسيج ولاستئناس الخيل ، بل إن كثيرا من مدنهم الهامة قد أسسها أجانب ، فأثينا وهى لفظ غير يونانى قد أسسها مصرى يدعى سبكروبس وطيبة أسسها كادموس وهو فينيق[1] .

أجل لقد ارتكز الفكر الإغريقى على ما جادت به العقول الإنسانيـة ثم قدمها للعالم كله فى صورة ناضجة تماماً كالنحلة تجمع غذاءها من كل زهرة أو حديقة ثم تقدم هذا كله لبنى البشر غذاء وشفاء يقول برتراندراسل فى كل التاريخ ليس هناك شىء أكثر بإثارة الدهشة بل لم يكن فى الحسبان — كالظهور المفاجىء للحضارة فى بلاد اليونان إن كثيراً من مقومات الحضارة كان قائماً منذ آلاف السنين فى مصر أو بلاد ما بين النهرين ثم انتشر إلى البلاد المجاورة ، ولـكن عناصر ظلت تنقص هذه الحضارات حتى زودها بها الإغريق[2] .

---

(١) أنظر ص ١٧ — ١٨ من الحضارة الإغريقية للدكتور أحمد صبحى .

(٢) ص ١٥ من المرجع السابق .

ويقول الشاعر شيلى :

إن الفترة الواقعة بين مولد بيركليس وموت أرسطو تعد بلاشك أهم فترة فى تاريخ العالم كله سواء نظرنا إليها من حيث هى فى ذاتها أم من حيث أثرها فى مصائر الإنسان المتحضر من بعدها[١]

ولقد اعترفت أغلب الأمم التى ازدهرت بعد اليونان بفضل الفكر الإغريقى وتذكره كالمهد الأول لتحويل الفكر العالمى إلى حجر زاوية فى كل صرح حضارى قام بعد الإزدهار اليونانى .

وقد أورث فلاسفة اليونان الإنسانية خلود فكرهم الذى علم البشرية فيما بعد وزرع فى عقلها ما كان فى الفكر اليونانى من نضج وإنجاز ، والفلاسفة اليونان هم الذين شرعوا للعقل البشرى العام ما لا يزال يمارسه حتى يومنا هذا[٢] وفلسفتهم كانت أبعد أثرا فى تراث الآنسانية ، إنها فلسفة الشرق الأدنى منذ فتوحات الاسكندر وهى فلسفة الغرب منذ استولى الرومانى على بلاد اليونان إذ كان للرومان السيادة السياسية بينما كان لليونان السيادة الفكرية .

وحينما قامت المسيحية اصطنعت هذه الفلسفة فالفكر الأوربى فى العصر الوسيط إنما تشكله على حد تعبير توينبى عقيدة العبرانيين وفكر اليونانيين .

كذلك تأثر بها فلاسفة الإسلام إذا كان شغلهم الشاغل التوفيق بين عقيدة الإسلام وفلسفة اليونان .

وإذا كان مفكروا الغرب المحدثون يرجعون أصول حضارتهم الحديثة

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة مجلد ٢ ج ٢ ص ٦ ترجمة محمد بدران .
(٢) ص ١٤ الفلسفة العربية عبر التاريخ .

إلى اليونان ، فإن الفلسفة الحديثة مهما تباينت مذاهبها وتنوعت اتجاهاتها واختلفت آراؤها فإنها يمكن أن نلتمس لها بذوراً أو جذورا لدى فلاسفة اليونان ، بل إن هناك من يذهب إلى أن شتى تيارات الفكر الحديث إنما تتأرجح بين قطبي الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو تميل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك أو تقف بين بين .

من أجل هذا كله كان حديث القلم وقفا على الفلسفة اليونانية ولأنها المدخل الطبيعى لكل من يريد أن يفهم الفلسفة العربية وإلى لقاء قريب إن شاء الله ليواصل القلم مسيرته فى مجال الفكر الإنسانى خلال العصر الوسيط .

هذا وبالله التوفيق ،،،

د/ محمد رشاد عبدالعزيز

المراجع

الكتاب	المؤلف
ـ قصة الحضارة	ول بورانت ـ ترجمة محمد بدرن الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ١٩٥٥
ـ تاريخ الحضارة الهيلينية	توينبى ترجمة رمزى جرجس
٢ ـ تاريخ العلم	جورج سارتون ترجمة نخبة من الأساتذة
٤ ـ الفلسفة الرواقية	د . عثمان أمين طبعه ١٩٤٥
٥ ـ عيون الأنباء	لابن أبى أصيبعة
٦ ـ تهذيب الأخلاق	لابن مسكويه طبع صبيح القاهرة ١٩٥٩
٧ ـ الملل والنحل	للشهرستانى تخريج د . بدران طبعة ثانية
٨ ـ تاريخ الفلسفة العربية	حنا الخورى وخليل الجر بيروت ١٩٦٦
٩ ـ تاريخ الفلسفة العربية	د . جميل صليبا ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت
١٠ ـ تاريخ الفلسفة الغربية	برتراند رسل ـ ترجمة ذكى نجيب وأحمد أمين
١١ ـ فى تاريخ الفلسفة اليونانية	الدكتوران عوض الله حجازى ومحمد نعيم
١٢ ـ قصة الفلسفة اليونانية	أحمد أمين وذكى نجيب
١٣ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية	يوسف كرم
١٤ ـ الحضارة الإغريقية	د. أحمد صبحى مؤسسة الثقافة الجامعية
١٥ ـ دراسات فى حضارة اليونان والرومان	د . لطفى عبد الوهاب يحيى
١٦ ـ مبادىء الفلسفة	دابويرت ترجمة أحمد أمين
١٧ ـ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية	أولف جيجت ـ ترجمة د . عزت القرنى

الكتاب	المؤلف
١٨ — أرسطو عند العرب	عبدالرحمن بدوى طبعة ثانية الكويت
١٩ — الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب	الدكتور محمد بيصار
٢٠ — مشكلة الفلسفة	د . زكريا إبراهيم
٢١ — ربيع الفكر اليونانى	د . عبد الرحمن بدوى
٢٢ — مدخل إلى الفلسفة	د . حسن عبد الحميد
٢٣ — الفلسفة العربية عبر التاريخ	رمزى نجار ـ طبعة ثانية ـ بيروت
٢٤ — محاورات أفلاطون	ترجمة ذكى نجيب محفوظ
٢٥ — تاريخ الفكر الفلسفى «أرسطو»	د . محمد على أبوريان
٢٦ — أفلاطون	د . أحمد فؤاد الأهوانى دار المعارف بمصر طبعة ثانية
٢٧ — الفلسفة تاريخها ومشكلاتها	هنترميد ـ ترجمة د . فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ دار نهضة مصر ـ القاهرة
٢٨ — التفكير الفلسفى فى الإسلام	د . عبد الحليم محمود
٢٩ — فلسفة الإطلاق	أبو بكر ذكرى
٣٠ — التفكير الفلسفى الإسلامى	د . سليمان دنيـــا
٣١ — الجانب الإلهى من التفكير الفلسفى	د . محمد البهى ـ دار الفكر طبعة خامسة بيروت ١٩٧٢
٣٢ — معانى الفسلفة	د . أحمد فؤاد الأهوانى

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ٣٨٩٥ / ٨٢

مطبعة الفجر الجديد

